جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة : www.muthuruk.com
BM-Publisher

تجليات المكان في شعر المخضرمين ، قراءة على وفق التأويل الفينومينولوجي

حسين عبود الهلالي *

حسن سعد لطيف

معلومات المقالة

تاريخ المقالة:

الاستلام: 2017/12/29

تاريخ التعديل : 2018/2/15

قبول النشر: 2018 /2/19

متوفر على النت: 2018/7/11

الكلمات المفتاحية :

التأويل

الفينومينولوجيا

شعر المخضرمين

الملخص

إن البحث عن قيم المكان من خلال نتاج الذات الشاعرة لا يتجلى إلا من خلال قراءة فاحصة قائمة على منهج تحليلي يعنى بتفسير ظاهرة المكان وتأويلها عن طريق التأمل والخبرة الشخصية وما يرافقهما من معطيات ، وعن طريق الوعي المسلط للذات على هذه الظاهرة ومحاولة اكتشاف طابعها الكوني الوجودي ، وانطلاقا من قصدية الذات الشاعرة في تعاملها مع أشكال المكان تأتي هذه الدراسة من أجل استقصاء هذه الظاهرة في تجربة المخضرمين الشعرية ، على وفق آليات التحليل الفينومينولوجي المرتبط بالهرمينوطيقا .

© جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2018

المقدمة

المكان هو البعد المادي للواقع ، أي الحيز الذي تجري فيه لا عليه الأحداث 1 ، وتنطوي علاقة الإنسان بالمكان على جوانب كثيرة ومعقدة أحيانا ، تجعل من معايشته للمكان عملية تتجاوز قدرته الواعية لتتوغل في اللاشعور ، فهنالك أماكن جاذبة تساعد على الاستقرار ، وأماكن طاردة لا توحي بالأمن ولا تشعر بالطمأنينة ، فتلفظ ساكنيها بعيدا عنها ، فالإنسان لا يحتاج مساحة فيزيقية جغرافية يعيش فيها فحسب ، لكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره وتتأصل فيها هويته ، ومن ثم يأخذ البحث عن الكيان والهوية شكل الفعل على المكان ، ليتحول إلى مرآة ترى فيها الذات صورتها ، فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها ، ولكنها تبسط ذاتها خارج هذه الحدود لتصبغ كل ما حولها بصبغتها ، وكذلك تبسط على المكان قيمها الاجتماعية والحضارية ، ويمكن القول : إن هناك أماكن مرفوضة وأماكن أخرى مرغوب فيها ، فمثلما تلفظ البيئة الإنسان أو تحتويه ، فالإنسان – طبقا لحاجاته – ينتعش في بعض الأماكن ويذوي أو يذبل في غيرها ، وقد تكون الأماكن نفسها جاذبة أو طاردة في الوقت ذاته ، فقد تكون الأماكن الضيقة مرفوضة لأنها صعبة الولوج عند بعضهم ، تكون مرغوبة لأنها تمثل الأمن والملجأ والحماية عند الآخرين 2 .

*الناشر الرئيسي : E-mail: hussainabood@gmail.com

وللمكان حضور مميز في تجربة الشعراء ، ومازال الشاعر العربي منذ القدم متأملا في فضاءات المكان الرحبة ، تختلط أجواؤها وتشكلاتها بوعي الشاعر وتجربته الشعورية الحية ، وطالما لمحنا في قصائد الشعراء حركة دؤوبة في التنقل بين الآثار والديار والتوقف عندها مستفهما منها ومصغيا إليها ، فيسائلها عما حل بها من كر الأيام والليالي ومن حوادث الدهر ، ويسأل عن سكانها الذين حلوا ربوعها وتفيئوا ظلالها ثم هجروها وقد خلفوا وراءهم ذكريات لا تضمحل وجروحا لا تندمل ، وكأن استنطاق الفراغ الصامت في المكان الخالي إلا من بقايا الآثار هو استنطاق لما ظل حبيسا من الأشياء في وعي الشاعر ومختبئا في قرارة ذاته ، فينفض عنه غبار الزمن وركام الأحداث المتلاحقة ، ويعيده إلى وعيه الظاهر ، وكأن هذا الإحساس بالمكان لم يكن ليتحقق وجوده أصلا إلا بفعل الوعي المصاحب له من قبل الذات الواعية التي منحته بفعل قصدية هذا الشعور وجوده الملموس .

وليس بالأمر الهين أن يتم إدراك كل موقف من مواقف الشعراء في تجربته الخاصة مع المكان ، ولعل الصعوبة تكمن في إيجاد الطريق الملائم للتوصل إلى الفهم الصحيح في سلوك كل شاعر في التعامل مع المكان الخاص بتجربته مع وجود قدر كبير من التشابه في مواقف الشعراء في النظر إلى المكان محيطا لتجاربهم الخاصة مع قلة العناصر التي تميز كل فرد عن الآخر ، لأن ما تتركه هذه الموقف من علامات فارقة لشخصيته هي التي تميز تجربته وتمنحها سمة الخلود ، لأن أفعال الذات المصاحبة للشعور بوجود المكان في وعي الشاعر هي التي تجعل المكان يتجلى بوصفه ظاهرة مدركة لها قوامها الخاص وتجليها في النفس مثلما كان لها وجودها في العالم الخارجي .

وللأمكنة تأثير على الحواس لأن هواها مستقر في قرارة النفس ، ولها القدرة على تخليص العواطف من كل كبت وتلطيفها من كل حدة ، وهي بالنسبة للشاعر ساحة تجاربه ، وهي كذلك ترجمة حقيقة لمشاعره وإحساساته ، لذلك هي بمثابة حلمه وأمله ، يسقط عليها نفسه وتجربته لتترجم كل ما يدور في خلده من معان ، ويتخذ منها أحيانا قناعا فنيا يسقط عليها ذاته ، فتحمل هذه الأمكنة مع النفس المتوارية التي تتنازعها الأشياء في صورتها المادية ، لذلك يرى الشاعر في ظل هذه الأشياء استراحة نفسية يبحث خلالها عن آماله وأحلامه 3 .

على أن أهم ما يمكن أن نلجأ إليه للتفريق بين تجارب الشعراء في ارتباطهم الحسي مع المكان هو آلية العمل الفني الأدبي التي تخضع لمتطلبات منهج التحليل الفينومينولوجي وتنصاع لإرادة التأويل وتلك هي اللغة ، فاللغة الشعرية هي التي تضفي على الأشياء شعريتها ، ولعل بعض الأشياء تمتلك نزوعا شعريا في أصلها ، وبعضها الآخر ومنها المكان ليست شعرية أصلا لكنها تكتسب شعريتها من خلال اللغة ، فالأشياء مهما اختلف مستوى الجمال والقبح فيها تظل محايدة لكنها تخرج عن حيادها إذا ما ارتبطت باللغة 4 ، فلا يجب أن تظل شعرية المكان حبيسة العوالم المحتملة للنصوص 5 ، (ولاشك أن محاولة هيدغر في فهم ماهية اللغة هي محاولة تنتمي إلى مجال الهرمينوطيقا الفينومينولوجية Phenomenological Hermenutics طالما أنها محاولة لفهم ماهية اللغة من حيث هي ظاهرة معاشة نعاني خبرتها) 6 سواء في تجربة المكان أو في غيرها من تجارب الحياة .

ويمثل المكان محورا هاما في إبراز هوية وملامح الشخصية بأبعادها الاجتماعية والأيدلوجية المختلفة ، وإدراك الشخصية للمكان هو إدراك حسي يتضح من خلال تصوراتها للعوالم المادية وغير المادية على السواء مثل قريب وبعيد ، وداخل وخارج ، وأهل وأغراب ، واتصال وانفصال إلى غيرها من الروابط المألوفة التي تربط الفرد بالمكان الذي يستوطنه 7 ، هذه المعطيات هي التي تحدد مدى درجة علاقة القربى بين الإنسان والأرض التي ينتمي إليها ويتأثر بها ، فبمقدار حميمية الارتباط مع هذه الأرض تبرز سمات وعلاقات الألفة والانتماء إليها ، وبمقدار التنافر والشعور بالحرمان والقهر ومرارة العيش في هذه الأرض تطغى علائم الاغتراب والعزلة والشعور بعدم الانتماء والرغبة في الرحيل .

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

المكان الضيق

القيم الفعلية للمكان هي نتاج أو محصلة المواجهة القائمة بين الذات في وعيها المطلق وإدراكها لمعالم الوجود والعالم من حولها وبين المكان بمؤثراته البيئية والنفسية والاجتماعية ، فالذات محملة بتصوراتها وآلامها وأحلامها تتعلق بالمكان في محاولة لربط مصيرها بهذه الأرض التي يمثل محيطها فضاء رحبا في عالم الوجود الفعلي المتحقق على أرض الواقع ، ولكن الامتداد الواسع في جغرافية المكان على الأرض لن تكون له قيمة فاعلة إذا لم تجد الذات هذا الاتساع واقعا في محصلة أهوائها ومشاعرها التي أفرزتها علاقة الارتباط بينها وبين المكان ، وفي لحظة التصادم بين سايكولوجية الذات وطبيعة المكان يحدث الامتزاج أو الانقسام بينهما ، وتتحدد قيم المكان الحقيقية من ناحية ضيقه واتساعه .

ويرتبط المكان أحيانا بمفهوم الحرية في علاقة جدلية ، إذ تصبح الحرية في هذا الجانب مجموعة من الأفعال التي يمارسها الفرد دون أن يصطدم بحواجز أو عقبات تكبل حريته ، وهي ناتجة عن الوسط الخارجي المحيط به ، ولا يمكن قهرها أو تجاوزها ، ولأن بعض الذوات لا يرضى بالمحدودية فهو دائم البحث عن وسائل لتحطيم القيود وتجاوز الحدود التي تكبل حريته 8 ، وقد يمثل المكان بصورته القصدية المتكونة في وعي الشاعر مرآة عاكسة لحقيقة الذات التي تختزل الوجود في هذا الشعور المصرح به عن صورة المكان في منظور الذات ، ويبقى أن الذات الفاعلة الباحثة عن الحرية لا تستلم أو ترضخ لأبعاد المكان إذا أحست بضيقه على النفس ، فتلجأ إلى التغيير والبحث عن المكان البديل كما صرح بذلك قيس بن الخطيم وأعلن عن عدم رضوخه للبقاء في أي أرض تكون مدعاة لمعاناته وهوانه .

وما بعض الإقامة في ديار

يكون بها الفتى إلا عناءُ

ولم أَرَكامرئٍ يدنو لخسفٍ

له في الأرض سيرٌ وانتواءُ 9

إن الذات تشعر بضيق المكان متى ما أصبح المكان معاديا للنفس ، ومتى ما أصبح الوجود بذلك المكان يمثل عناء ، وإن وعي الشاعر بضيق المكان ينتج من قلق الذات حيال محيطها ، وتصور المكان فينومينولوجيا يرتبط كثيرا بسايكلوجية الذات وفلسفتها في تصور ذلك المكان ، فالذات القلقة الحائرة تشعر بضيق المكان وإن كان المكان في واقع الأمر واسعا رحبا ، وعلى الرغم من معرفة الذات التامة بجغرافية المكان وأبعاده واتساعه إلا أنها تشعر بضيقه وتضاؤله ومرارة العيش فيه لأنه لم يعد يشكل المأوى الملائم للعيش ، ولذلك فإن هذه النفس الحائرة تجد الخلاص في تغيير المكان .

هذه الرؤية المعبرة عن ظاهرية المكان بفعل قراءة الذات وتأويلها هو ما يمنحنا رؤية المكان لا بأعيننا بل بعين الشاعر التي تجعلنا نرى الأشياء المتعلقة بالمكان من خلال وعيه الخاص بها فالشاعر يمنحنا رؤية خاصة لأشياء غريبة على الذات معادية للنفس وجدت في ذلك المكان وأعطته هذا الإحساس بالاغتراب النفسي فيه ، وعلى الرغم مما ذهب إليه باشلار من أن الشعراء يساعدوننا في اكتشاف ذلك الفرح بداخلنا بمشاهدة الأشياء الجميلة ، إذ يمكن أن نرى في أشياء مألوفة للغاية امتدادا لمكاننا الحميم 10 ، فإننا بإزاء ذلك يمكن أن نرى قبح الأشياء ومشاهد الألم التي توحي برعب المكان من خلال غربة النفس التي يتمثلها الشاعر في تجربته الخاصة بالمكان الضيق في عالمه المعيش .

إن ضيق المكان وما تذهب إليه الذات معتقدة أنه ملجأ تتجلى فيه لترى وجودها سواء كان ذلك حقيقيا أم نفسيا ما هو في حقيقة الأمر إلا معاناة وحالة من الإحساس بمحاصرة المكان للنفس والجسد ، وما الذي يجبر النفس على السكون والاستسلام والرضا بمثل هذا الخسف والهوان وهو يملك في المكان فسحة ، وله في الأرض متسع ، ولم يكن قيس بن الخطيم ليستسلم لمثل هذا الوجود ، ولم يكن ليرضى بغلبة الوجود عليه ، فلم يكن الاستسلام لضيق المكان وكينونته في وعي الشاعر بهذه الهيأة أن تغلق أمام عينيه سبيل الخلاص ، فهو يستغرب من الرضا بمثل

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

هذا الخسف وهو يمتلك مشيئة الانفصال ، ولعل الانفصال عن المكان رغبة تمليها عليه تلك اللحظة المأساوية التي تخيم على عالمه المعيش ، ولعل الخاصية المأساوية للحظة هي التي تجعلنا نكتشف مسبقا واقعها المرير على تجربة الشاعر ، وإن فكرة الانفصال هي التي تظل مهيمنة في هذه القطيعة للوجود ، وهذه اللحظات المأساوية تفصل بين ديمومتين رتيبتين ، ديمومة البقاء والاستسلام والرضوخ للأمر الواقع ، وديمومة الرفض والانفصال والبدء من جديد في مكان آخر ، وباشلار يرى أن هذه اللحظات المأساوية كلها سالبة وواهبة في نفس الوقت 11 ، فإذا كانت سالبة فإن الذات تركن إلى الخضوع والقبول والرضا لمشيئة القدر والاستسلام له ، وإذا كانت واهبة فإن الذات تثور على واقعها المأساوي وترفض الاستمرار فيه وتسعى إلى تغييره بالبحث عن مكان جديد .

ومثل معاناة قيس بن الخطيم من ضيق المكان نجد النجاشي الحارثي يعبر عن غربة المكان ووحشته ، وليس هو فحسب من يعاني من عداء المكان للذات ولكن الأمر متصل كذلك بناقته التي يراها تشعر وتتألم مثله من ضيق المكان على النفس .

رأت ناقتي ماء الفرات وذوقه
أمرّمن السم الذعاف وأمقرا
وريعت من العاقول لمّا رأت به
صياح النبيط والسفين المقيرا
وحنّت حنينا موجعا هيّمت به
فؤاداً إلى أن يدرك الربو أصورا
فقلت لها : بعض الحنين فإنّ بي
كوجدكِ إلا أنني كنتُ أصبرا 12

لعل فلسفة الشاعر لحظة مرهونة تبدأ حين يبدأ لقاؤه بالعالم ، ومتى ما رأى أنه في تلك اللحظة يشعر بالسعادة والهناء فإن كل شيء في الوجود يكون معه سعيدا ، وإذا أحس بالضياع والألم والغربة في المكان فإن كل شيء في الوجود يكون باعثا للمعاناة والإحساس بالمرارة ، وحين وجد الشاعر نفسه خارج المكان المألوف نقل هذا الإحساس بغربة المكان من ذاته إلى ناقته ، فكانت هذه الناقة تشعر بوجود المرارة في طعم الماء حتى كأنه السم الذعاف أو أشد منه ، وما ذلك إلا وعي الشاعر المحمل بالخوف والارتياع من ضيق المكان ووحشته بحيث أصبح يرى ماء الفرات العذب سما ذعافا ، وربما إن الناقة لم ترى فيه إلا ماء طيبا صالحا للشرب ، كما لم ترى في العاقول المصاحب له إلا غذاء صالحا .

إن النظر إلى تجربة الشاعر حين يوضع في المكان البعيد عن تطلعاته وأحلامه الذي تشعر فيه النفس بالعذاب وضنك العيش هي المنتج الحقيقي لقيم المكان في وعي الشاعر لحظة التقائه بالعالم الخارجي ، فيكون هذا الوعي محتشدا بجملة من الانفعالات المعادية للكون ، وهي مرتبطة ولا ريب بغير قليل من عداوة البشر ، فما كانت تبحث عنه نفس الشاعر في ذلك المكان الموحش الخاوي من الإحساس بلذة الحياة هو الأنس ، ولا يعني ذلك خلوه من البشر بل خلوه من الأقارب الذين يمثلون شقائق النفس ، ولما كان هذا الأنس غائبا عن النفس غاب عن المكان وعن كل ما يحيط بالمكان من الأشياء فأصبح ماؤه مرا وطعامه سيئا ، وكان وعي الشاعر يتجه إلى أن كل ما ينسحب على نفسه من وقع المعاناة بسبب ضيق المكان ينسحب على ناقته كذلك ، فكأنها تشعر بما يشعر به هو ، وبدلا من أن يعبر عن معاناته وألمه الخاص عبر عن ألمها ومعاناتها من ضيق المكان وقسوته ، فجعلها وسيلة للوصول للتعبير عما في ذاته ، ولأن القاعدة الفينومينولوجية تقول : (إن كل شعور هو شعور بشيء ما) تظل الذاكرة تحتفظ دوما بذكريات جميلة عن مكان آمن يحمل السلام للنفس والشعور بالرضا ، والرخاء الذي تنشده النفس ولا تتمكن من الوصول إليه ، فيكون الحنين إلى المكان المفقود هاجسا يؤرق قلب الشاعر ولا يجد له مخرجا إلا الصبر ، ويكون الإحساس بالمكان الحالي على هذا القدر الكبير من البغض وعدم الشعور بالانتماء .

إن قيم المكان في ذات الشاعر تغير الحقائق إذ لم تعد هي ذاتها في الواقع ، وقد ركزت المنهجية الفينومينولوجية على حضور

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

الشيء إزاء الذات المتعالية ، فكل إجراء تتخذه الذات المدركة هدفه انكشاف الموضوع للذات المتعالية ، مما يعني وضعه بمرتبة وجودية مساوية لمرتبة الذات ، فينكشف بماهيته التي تقتضي ثبات المعنى المفصحة عنه الماهية ، لأنه يكون بمعزل عن الوجود الواقعي الذي علق في الإجراء الفينومينولوجي ، فالوجود في الفينومينولوجيا يخضع لفاعلية الذات التي تجسد حضوره ، ولا وجود بمعزل عن ذات متعالية تركز على الماهية 13 .

إذن لم تعد حقيقة المكان قائمة على القيم الفعلية للمقاييس الطبيعية على الأرض ، وإنما مقاييسها الحقيقية تتمثل في ما تتركه من آثار وتداعيات على النفس ، فتنطق الذات بحقيقة هواجسها ومشاعرها من ضيق المكان على الرغم من امتداده الشاسع على الأرض ، وهذا ما أدركه الحطيئة وأكده لنا لحظة خروجه من الشام .

وبلدةٍ جبتها وحدي بيعملـةٍ
إذا السراب على صحرائها اضطربا
بحيث ينسي زمام العنس راكبها
ويصبح المرء فيها ناعسا وصبـا
مستهلك الورد كالأسدي قد جعلت
أيدي المطي به عادية رغبـا
يجتاز أجواز قفرٍ من جوانبـه
يأوي إليه ويلقى دونه عتـبا
إذا مخارم أحناءٍ عرضن لـه
لم ينبُ عنها وخاف الجور فاعتتبا
والذئب يطرقنا في كل منزلـةٍ
عدو القرينين في آثارنا خببـا
قالت أمامة : لا تجزع فقلت لها :
إن العزاء وإن الصبر قد غلبـا
إن امرءا رهطه بالشام منزله
برمل يبرين جارا شدّ ما اغتربا 14

إن ما يصفه الحطيئة هنا ليس بالمكان الضيق أبدا ، بل على العكس من ذلك فإن معاناة الشاعر هنا متأتية من اتساع المكان وترامي أطرافه ، فأين يكمن ضيق المكان بالنسبة للشاعر ؟ لا ريب أن المكان في نص الشاعر لا يتميز بصغر المساحة ، وقد لجأ الشاعر إلى وصف دقيق يعبر فيه عن سعة المكان الصحراوي الممتد على طول الطريق بحيث يضطرب فيه السراب ، وبسبب طول المسافة التي يقطعها في هذا المكان فإنه ينسى أن يمسك بزمام ناقته لما يتعرض له من الإرهاق والنعاس ، وهو يستهلك هذه المسافات الشاسعة التي جعلت آثار الأبل فيها أخاديدا تشبه الآبار ، وإذا اعترضت طريقه المرتفعات لا يتحول عنها خشية أن يضل عن الطريق ، كما أن الذئاب تصاحبهم ليلا وتتبع آثارهم لتحصل منهم على غرة للصيد ، ومع هذه الأجواء المملوءة خوفا وفزعا من هول المكان نلحظ الشاعر منصتا إلى زوجته التي تطلب منه الصبر على مشقة الطريق ووحشة المكان ومتابعة المسير وعدم التوقف والجزع ، لكنه يرى أن الصبر قد نفد ولا عزاء .

لو أخذنا هذا النص على ظاهره لكان أليق به أن يوضع في حيز المكان الواسع لما يحتويه من كثرة صفات الاتساع ، ولكننا لسنا هنا بصدد دراسة ظاهر المكان بل دراسة ماهية المكان في وعي الشاعر ، ولكي نتعرف بدقة على ما يمكن أن يتمثل في وعي الشاعر وهو يطرق هذا المكان نحيل إلى ما ينص عليه مارتن هيدغر في تحليله لمكانية الكينونة في العالم .

حين تنسب المكانية إلى الدازاين (ذلك الكائن الملقى في العالم) فإن هذه الكينونة لا يمكن أن تعني شيئا من قبيل الوجود في بقعة معينة من العالم ، لأن المكانية هنا يكون لها معنى وجودانيا وليس طبيعيا ، وجهد هيدغر ينصب على نقل مسألة المستوى الوجوداني الذي يصدق على الدازاين وحده من المادية إلى الوجودية ، بحيث يتم نقل معنى البعد أو القرب من خاصية مادية في الأشياء إلى طبع وجوداني في الدازاين نفسه المعني في التعامل مع الأشياء في نحو من الانشغال والألفة مع الكائن الذي يلاقينا داخل العالم ، ولأن المكانية هي إحدى صفاته فإنها تكشف عن طابع معين من نمط كينونة يصطلح عليه هيدغر مسمى (رفع البعد) 15.

إذن فحجم المكان وأبعاده واتساعه – من وجهة نظر فينومينولوجية – لم تعد خاضعة لمقاييس الطبيعة وأحكامها ، بل يتم تقييم حقائقها وجوديا من خلال بعدها أو قربها من كينونة الكائن ، فمتى ما تعامل معها بشيء من الألفة ، ووجد في نفسه شيئا من الطمأنينة نحوها إذن فقد تم إزالة البعد بينه وبين حقائق المكان هذه ، ولم تعد المسافة تمثل بعدا شاسعا ، وإذا أحس تجاهها بالخوف وعدم الرضا وعدم الشعور بالأمان فإن قيم المكان في الواقع تكون في منأى عن الذات ، ولا ترضخ الذات لدرجة القرب من المكان إذا صار المكان يمثل عالما مفزعا ، ومن خلال رفع البعد من حيث هو نمط كينونة من شأن الدازاين الذي هو من حيث الماهية رافع للبعد ، فرفع البعد - المصطلح الذي يتبناه هيدغر الذي يعني إبعاد البعد أو إزالة البعد - أصبح من متعلقات الكائن الذي يمثلنا ، ولأن البعد طبع وجوداني فينا فنحن من يبعد ويقرب ، وهكذا تصبح الأبعاد والمسافات إزاء الكائن داخل العالم لا من جهة علاقتها به أو علاقته بها بل من جهة علاقتها بغيره ، فإذا حمل الدازاين ضمن الانشغال شيئا ما إلى قربه فذلك لا يعني تثبيتا لشيء ما في بقعة من المكان لأن تفسير رفع البعد أو تقديره سيكون ذاتيا ، وهي ذاتية تكشف عن أكثر الأشياء واقعية 16 .

بالعودة إلى نص الشاعر نجد أنه يعاني ضيق المكان من خلال ارتباط المكان بكل أبعاده بما يعتمل في نفس الشاعر من إحساس الغربة تجاه المكان الموصوف هنا ، فالأشياء الموجودة فيه لا تنتمي إلى الشاعر ولا تمت له بصلة ، وهو لم يقطع هذه الرحلة الطويلة إلا ليصل إلى جوار (رمل يبرين) مكانه الأليف ، حيث تجد مشاعره الأنس والاتساع الحقيقي وهو المكان الذي يراه شديد الابتعاد لمن يكون بجوار الشام المكان المتسع واقعا ولكنه الضيق نفسيا ، فهذا المكان لا يشعرنا بوجود الألفة بينه وبين الشاعر .

وربما يكون المكان ضيقا فعلا في طبيعة وجوده وأبعاده على أرض الواقع ، وتشعر الذات فيه بعدم وجود الاتساع ، لكنها لا تميل إلى إظهار مشاعر النفور من ضيق المكان لأسباب تتعلق بسايكولوجيتها الخاصة التي تتميز بالقناعة والسماحة والرضا بما يكون عليه الحال ، ويمكن أن نتمثل ذلك في توجه عمرو بن الأهتم إلى مثل هذا الوصف للمكان الضيق المتسع للذات .

ومستنبحٍ بعد الهدوء دعوتهُ
وقد حان من نجم الشتاء خفوقُ

يعالج عرنينا من الليل باردا
تلفّ رياحٌ ثوبه وبروقُ

تألق في عينٍ من المزن وادق
لهُ هيدبٌ داني السحاب دفوقُ

أضفتُ فلم أفحش عليه ولم أقل
لأحرمهُ إن المكان مضيقُ

فقلتُ له أهلا وسهلا ومرحبا
فهذا صبوحٌ راهنٌ وصديقُ

وضاحكته من قبل عرفاني اسمه
ليأنس إن الكريم رفيقُ

* * *

لعمرك ما ضاقت بلادٌ بأهلها
ولكن أخلاق الرجال تضيقُ 17

ارتباط الموضوعات التقليدية للقصيدة العربية بأشكال مكانية معينة قد يوحي بدلالة خاصة للمكان تتعلق بأحد الأغراض الشعرية الشائعة عند الشاعر العربي ، فعندما يقوم عمرو بن الأهتم بإجراء نوع من الارتباط العلائقي بين اتساع الكرم لكونه من أهم الخصال التي يتمتع بها وضيق المكان الذي يسكن فيه فإن الناتج من هذه العلاقة إبراز الظاهرة إلى حيز الوجود بأجود صورة ممكنة ، فعلى الرغم من أن المكان الذي يسكنه الشاعر ضيق إلا أنه يدعو إليه رجلا أضناه السير في ليلة ذات رياح وبرق ومطر شديد ، فهب إلى ضيافته ولم يفحش له بالقول ولم يعتذر بضيق المكان ، بل عاجله بالتهليل والترحيب ، وضاحكه قبل أن يعرف اسمه لكيلا يشعر بالحرج ، وليأنس بالمكان وأهل المكان ، منتهيا إلى أن المكان مهما يكن صغير المساحة ضئيل الأركان فإنه لا يضيق على أهله وإنما تضيق النفوس التي تستوطنه .

هذا المكان الضيق الذي يتجلى لنا – على وفق تصوير الشاعر – ضئيلا لا يبدو منعدم الأشياء على الرغم من اتصافه بالضيق ، فالرياح تقوم بعملها في طي أثواب الرجل باستمرارية حركتها ، والسحاب يملأ جو المكان والمطر يهطل ، يصاحبه برقٌ يضيف ألقاً على صورة الرجل المتوحد في المكان في تلك الليلة الشتائية الباردة ، هذا الجو المشحون بالصور المعبرة والمملوء بالحركة كان كله حاضرا في خدمة غرض القصيدة ، فمدركات الشاعر الحسية ووعيه الممتلئ بصور من معالم الطبيعة جعله يسخر هذه المدركات بتوحيد عناصرها ، وإزالة ما بينها من حواجز وحدود في انسياب بالغ العفوية واسقاط كل هذه المعطيات الخارجية على ما يختزن في الذات من ميل واضح لفضيلة من أبرز فضائل الرجل العربي في الصحراء فضيلة الكرم لأنها سبب أساسي من أسباب البقاء والوجود الإنساني في الصحراء العربية .

إن الذات لا تشكل صورة المكان من أشياء المكان نفسه ، وإن كانت تستمد تشكيل عناصره من عينيات ماثلة فيه ، لكنها تأخذ تلك الأشياء الملائمة لحقيقته النفسية ، فتلك الأشياء هي صفات موضوعية للمكان إلا أنها لا تمثل إلا مقاييس موضوعية تسهل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية وليست خصائص كامنة فيه ، وعندئذ يكون تشكيل الذات لصورة المكان مجافيا لهذه المقاييس لكنها تعبر تعبيرا صادقا عن حقيقته النفسية ، فيجب أن ينظر إلى هذه الأشياء لا من خلال صفتها الحسية في المكان المقيس بل من خلال وقعها النفسي على الذات 18 ، فتلك الأماكن المتسعة جدا اللامتناهية الكبر هي الأماكن التي نحلم بها ، التي نفحص ضخامتها واتساعها ، أو بالأحرى نفحص الوعي ذاته فيها منذ أن كان الوعي بلا موضوع ، فإننا نستشعر باللامتناهي الكبر في داخل أنفسنا أنه يمس نوعا من تضخيم الوجود ، وهو الدخول في عالم بلا حدود 19 .

والذات – في المنظور الفينومينولوجي – هي المؤسس الفعلي للظواهر ، فالفينومنولوجيا – بوصفها العلم الجديد للمجال الموضوعي – تأسست على الفهم المباشر للموضوعات عن طريق ما يعرف بالحدس الفينومينولوجي للظاهرة التي تؤسسها الذات العارفة من خلال الوعي بها ، وحدس الظاهرات لا ينسب إلى الظاهرات الموجودة بشكل موضوعي بل إليها بصفتها المركبة على نحو ذاتي 20 ، وهكذا يكون للذات دورا فينومينولوجيا فاعلا في تحديد الموضوعات التي تتجه شعوريا نحوها .

وقد نجد الذات تتعلق بمكان خاص فيكون محبوبا أثيرا لدى النفس ، ولا يكون الضيق إلا فيما عداه من الأمكنة ، فالذات تذهب إلى الشكوى من كل الأماكن ومن ضيقها على النفس لأن هذه الأماكن لا تضم شخصا محبوبا هو الذي تطمئن الذات إلى جواره ، وهذا ما نتبينه عند أبي ذؤيب الهذلي عندما يحن إلى بيت خثماء .

يا بيت خثماء الذي أتجنَّبُ
ذهب الشباب وحبها لا يذهبُ

مالي أحنّ إلى جمالك قرِّبت
وأصدّ عنك وأنتِ مني أقربُ

لله درّكِ هل لديكِ معوّلٌ
لمكلّفٍ أم هل لودّكِ مطلبُ

تدعو الحمامة شجوها فتهيجني
ويروح عازب شوقي المتأوبُ

وأرى البلاد إذا سكنتِ بغيرها
جدباء و إن كانت تطلّ وتخصبُ

ويحلّ أهلي بالمكان فلا أرى
طرفي بغيركِ مرة يتقلبُ

وأصانع الواشين فيك تجملاً
وهم عليّ ذوو ضغائن دوّبُ

وتهيج سارية الرياح من أرضكم
فأرى الجناب لها يحلّ ويجنبُ

وأرى العدو يحبكم فأحبّه
إن كان ينسب منك أو يتنسّبُ 21

في كل ما مر بنا من تلك الصور نلحظ مظاهر عدوانية تبرز إلى سطح المكان من خلال ذات الشاعر التي تفيض بأحاسيسها النافرة من ضيق المكان الذي يحتويها ، ففي اللحظة التي نتوهم

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

فيها صورة الاتساع في المكان الذي يضم الشاعر في عالمه المعيش إلا أن هذه الصورة لا تكون مطابقة لما يدور في وعي الشاعر من خلال علاقة المكان بالأنا ، (فأينما لقي الإنسان مكانا يحمل أقل صفات المأوى سوف نرى الخيال يبني جدرانا من ظلال رقيقة ، مريحا نفسه بوهم الحماية ، أو على العكس نراه يرتعش خلف جدران سميكة مشككا بفائدة أقوى التحصينات) 22 ، وهكذا يرتبط ضيق المكان واتساعه بمدى ارتباط الذات وتعلقها به ، فمتى ما كان مألوفا للنفس مريحا لها كان رحبا لا حدود لآفاقه الواسعة ، وإذا كان معاديا للنفس غريبا عنها كان ضيقا ومتضائلا وإن بدا في واقع الأمر متسعا .

إن البحث في تجارب الشعراء عن ذلك المكان المألوف الذي يتسع لأحلامهم وتطلعاتهم – على الرغم من صغر مساحته – سنجده يتمثل في بعض الأمكنة التي شكلت هاجسا للحب والعلاقة الحميمية عند بعضهم كأبي ذؤيب الهذلي الذي يرى بيت خثماء أحب البيوت وأقربها إلى نفسه .

دون شك لن تكون هذه الرؤية لبيت خثماء المحبوب تمثل مكانا ضيقا أبدا على الرغم من أن هذا البيت لا يشكل حيزا كبيرا إذا ما قيس بالمسافات والأبعاد ، لكن فلسفة الشاعر في رسم صورة المكان المحبوب تخرج من خلال وعيه الخاص برؤية المكان لتحفر نفسها في قلب الوجود وتتجسد بمثل هذه الهيأة التي تبصر كل ما حوله يتمتع بالخصب والنماء والازدهار ، أما غيره من الأماكن فجرداء لا حياة بها وإن كانت – في الواقع –خصيبة ، إن فينومينولوجيا الخيال هي التي تتولى الإمساك بمثل هذا الوجود العابر 23 ، وإذ يظل رسم المكان متعلقا بما يدور في وعي الشاعر فإن الذات هي التي تهبه مقدار المساحة التي يكون عليها داخل النفس بعيدا عن الواقع ، وهي مساحة إذا استلزمت أن تخضع لمقاييس الأبعاد ومدى القرب والابتعاد فإنها تتطلب مهمة فينومينولوجية تخضع لآليات التأويل الفينومينولوجي الوجوداني ، وإن رأى بعضهم أن المكان في الشعر العربي تعتوره قراءتان ، قراءة التفسير وقراءة التأويل ، فإذا اكتفينا بقراءة التفسير وعطلنا التأويل نكون قتلنا في أنفسنا الشاعر الذي لم نكنه بالفعل وكناه بالقوة 24 ، فتأويل الصورة الشعرية للمكان هي التي تمنح القوة للمعنى ، وتتيح لنا فهمها من خلال الارتباط بتجربة الشاعر ومعايشتها ، والوعي بها على النحو الذي يتيح لنا مشاركتها ومعاناة ألمها وواقعها المعيش.

وعندما يتحدث هيدغر عن الشعر في إطار الأنطولوجيا فهو كثيرا ما يردد أن الشعراء يعلموننا أن نقيم على الأرض ، وهو يريد بذلك أن يتعلم الإنسان كيف يقترب من الأرض ومن الطبيعة ، أي يقترب من حقيقة الأشياء والموجودات ، ومن ثم من الوجود نفسه الذي يتجلى بها ، ويتحقق من خلال الكلمة الشعرية 25 ، لذا فإن تأويل الشعر هو محاولة صياغة ما يثيره فينا ملاقاة النص من صيغ تصويريه تعبر عما تبينه لنا تجربة العالم بإخضاع كل ما يفترضه النص من بحث تاريخي وجمالي ولغوي وأسلوبي إلى غاية النص نفسه 26 ، أما باشلار فإنه يريد منا فهم الصورة الشعرية من خلال معايشتنا لها ووعينا بها حد الاشتراك في عالمها ، بحيث تستولي علينا وتطوقنا ، فنتعلق بالصورة الشعرية وننصت إلى رنينها أو إلى الصوت الهاتف المنبعث منها الذي يعد المقياس الحقيقي لوجودها ، من خلال هذا الرنين تكتسب الصورة الشعرية صوتية الوجود ، ومن خلال التمعن فيها والتأمل بدواخلها ومخرجاتها تكشف لنا الصورة الشعرية عن نفسها ، فنعيش عالمها الخارجي بداخلنا ، وأمام وعينا تنكشف حقائق الصورة التي أراد لنا الشاعر إيصالها ، فتتجلى على النحو الذي نشعر فيه بالتواصل مع الشاعر في لحظة الإحساس بعالمه الإنساني الذي ارتبط فيه بعاطفته الخاصة مع ذلك المكان 27 .

المكان الواسع :

لا يتوقف تأثير المكان على الذات من خلال ضيقه على النفس فحسب ، بل إن سعة المكان كذلك لها تأثيرات أخرى على الذات سواء كانت إيجابية أو سلبية في انعكاساتها المباشرة على الشعور الداخلي للذات المتأثرة ، فتنشأ حالات مختلفة من

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

مشاعر الخوف والأمان ، والكره والاشتياق ، والقرب والابتعاد وغيرها من حالات الشعور التي تثيرها لحظة المواجهة بين الذات والمكان ، إن تأثيرات المكان في فاعليتها وقدرتها على الكشف عن مكنونات الذات لها القابلية على تهشيم الذات ولملمتها ، وهذه التأثيرات تكشفها لنا القراءة والتأويل الفينومينولوجي لأنساق المكان في تحولاته بين الضيق والاتساع من خلال وعي الذات في تصور المكان وتشكله في النص .

في تجربة الفرسان من الشعراء المخضرمين تكون حاجة الذات للمكان الواسع أبلغ في مساحة الحضور ، لأن الذات سوف تنشغل بمتطلبات الحرب ومستجداتها ، وملاحقة الأعداء في كل أرض ، وهكذا فإن قيم المكان ستتجه إلى التوسع لتهيئة الجو الملائم للذات للتحدث عن منجزاتها وبطولاتها ، ولهذا فإن زيد الخيل يحشد كل صور الاتساع للتعبير عن المكان الذي تحدث فيه المعركة .

جلبنا الخيل من أجأ وسلمى
تخبّ نزائعاً خبب الركـــــابِ
جلبنا كلّ طرفٍ أعـوجيّ
وسلهبةٍ كخافية الغـــــرابِ
ضربن بعمرةٍ فخرجن منها
خروج الودق من خلل السحابِ
فكانوا بين مكبولٍ أسيـرٍ
ومنعفر المضاحك في الترابِ
ولو كانت تكلم أرض قيسٍ
لأضحـت تشتكي لبني كلابِ
وقد علمت بنو عبسٍ وبدرٍ
ومــــرة أنني مرّ العقــابِ
كأن محالها بالنير مـرت
أثارته بمجمرةٍ صـــــــلابِ
فلما إن بدت أعلام لبـنى
وكنّ لنا كمستتر الحجــــابِ
صبحناهن من سمل الأوادي
فمصطبحٌ على عجـلٍ وآبِ 28

يرتبط المكان – مرة أخرى – بالأثر الذاتي عند الشاعر ، لأن الذات الشاعرة تصنع الحدث ، وتملأ المكان بما يشبه الرنين العاطفي ، ولكي تتضح الرؤية الفينومينولوجية للحدث في وعي الشاعر الذي يعبر عن سعة المكان اللامتناهي - لأن حدس اللحظة هنا يعبر عن جو الانتصار اللامحدود – فإنه يلجأ إلى التعبير العاطفي عن هذا النصر بأسلوب الرنين ورجع الصدى ، وهذا الرنين العاطفي الذي نتلقى به العمل الفني بثراء واسع – سواء كان ذلك الثراء في داخلنا أو في العمل الفني ذاته – هو الذي يدعونا إلى أن نضفي مزيدا من العمق على وجودنا ، فبهذا الرنين نسمع القصيدة وكأنها بغزارتها وخصوبتها توقظ أعماقا جديدة بداخلنا 29 ، وكأن الشاعر لم يتمكن من رسم حدود المكان أو حصرها لأن فرحته بنشوة الانتصار لم يكن يريد أن يضع لها حدا معينا .

منطلقا من ذلك الرنين الصاخب المصاحب للحدث (جلبنا الخيل من أجأ وسلمى ..) يرتفع الصوت مؤكدا ذلك الصدى المتوارث للذات العربية التي تبحث دائما في أنحاء الجزيرة العربية عن محاولة فرض القوى وتركيز دعائم القبيلة على أكبر حيز من المكان ، وربما كان هربا من الواقع الحقيقي عن (طريق المخيلة ، ويحيل هذا الواقع إلى واقعه هو ، فضلا عن ذلك فإن المثالية تكتفي بأن ترى الواقع من خلال الذات العارفة ، فتعلق وجود الأشياء الخارجية على هذه الذات ، وتربط وجودها بعجلة التفكير ومقولاته وقوانينه ، بحيث تنظر إلى التفكير في نهاية الأمر على أنه هو الذي يخلق لنا وجود الأشياء) 30 وأماكنها ، فيقتصر التصور الوجودي على تصور الذات (فخروج الودق من خلل السحاب) ليس إلا صورة تبين تصور الذات في مخيلتها الفينومينولوجية التي تبعث على اتساع المكان عند الذات وضيقه عند الآخر ، وهي معادلة يلجأ إليها الشاعر لبيان سطوتهم وقدرتهم وتسلطهم قياسا بالآخر ، وربما كان الآخر يرى الأمر بخلاف ذلك ، فالواقع المعيش يفرض مثل هذا التصور الذاتي لغلبة النحن (الذات) على الهم (الآخر) .

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

ولعل تحديد معالم القرب والبعد عن المكان تمنحه صفة الاتساع الذهني المتمثل في الوعي إذا ارتبط شعوريا بأحد ساكنيه ، لأن انشغال الذات يقع ضمن دائرة علاقته بساكن المكان الذي يمثل ملجأ آمنا تطمئن إليه النفس وتهدأ كلما كانت بقربه ، ولهذا فإن أبا زبيد الطائي يرى كل أرض تفصل بينه وبين ممدوحه مكانا واسعا ليس له مدى .

لعمري لئن أمسى الوليد ببلــدةٍ

سواي لقد أمسيت للدهر معورا

خلا إن رزق الله غادٍ ورائــحٌ

وإني له راجٍ ولو ســـــرتُ أشهرا

وكان هو الحصن الذي ليس مسلمي

إذا أنا بالنكـــراء هيجت معشــرا

إذا صادفوا دوني الوليد كأنمـا

يرون بوادي ذي حمـــاس مزعفرا

خضب بنان ما يزال براكــبٍ

يخب وضاحي جلده قد تقشـرا 31

قـد يكون الموقف المتمثل في وعي الشـاعر لشخص ممدوح يجعله متعرضا لنوع من الهوس اللا مقصود المتأثر بفخامة الاسم ، مما يخرجه من الوعي الكامل بمحددات المكان إلى حالة اللاوعي ، فيقع تأثير هذا الانشغال المؤقت بشخصية المدوح عن تحديد أطر المكان على أصداء النفس ، فيصبح النص فضفاضا على المعنى ، وتصبح مسافة القرب من الممدوح أبعد من أن تحدها حدود الاقتصاد في المساحة ، لأن الشاعر أصبح مهووسا بالاسم بعيدا عن أي علاقة مع قصديته الفعلية ، فمعالم المكان لم تعد خاضعة لأية قوانين إلا بمقدار اقترابها أو ابتعادها عن ذلك الشخص المتمكن في وعي الشاعر والمتمثل في قصيدته .

نلحظ هنا أن الشاعر يرى كل مكان لا يضمه إلى جوار الوليد هو مكان بعيد شاسع البعد ، لأن هذا الشخص هو الملاذ الذي يلتجئ إليه ويحتمي به من نوائب الدهر ومن غارات العدو ، وكلما كان قريبا إليه كان إحساسه بألفة المكان وأمانه أكبر ، وهذا ما يستدعي منا النظر إلى مدى هذه العلاقة التي تربط الذات بالمكان من جهة ومدى ارتباطها بالآخر من جهة أخرى ، فأحيانا يكون المكان هو الآخر إذا تعلق بشخص تنفر منه الذات فيكون المكان معاديا غريبا لا تتقبله الذات ، وأحيانا يصبح المكان أليفا للذات مؤنسا لها إذا ارتبط بشخص تهواه الذات وتتعلق به فتتعلق بالمكان الذي يحتويه أيضا ، وهذه قاعدة إنسانية عامة أن نجد الذات الإنسانية – في كل زمن – تحمل ميلا وجدانيا لبعض الأمكنة التي تحتضن أحبتهم وأخلاءهم ، وبهذا الصدد يذكرنا غادامير بأننا لو عرفنا مهمة الهرمينوطيقا بأنها عبور للمسافة التاريخية بين العقول ، إذن فإن خبرة الفن سوف تسقط برمتها خارج نطاق الهرمينوطيقا ، ولذلك فإننا لا نتوجه إلى العمل الفني بقصد تفسيره فحسب ، ولكننا ندخل في مجال خبرته من أجل أنفسنا أيضا ، إذ أننا بحاجة إلى فهم أنفسنا أكثر لفهم العمل الفني 32 ، وربما توجب علينا فهم الذات الإنسانية بإحساسها وتفاعلها مع الأشياء – ومنها المكان – لتكون وسيلة لفهم النصوص الأدبية لاسيما الشعرية منها ، (فالعودة إلى الذات في علاقة المعرفة هي العودة إلى صياغة الإشكاليات المعرفية ذاتها ، بحيث تطرح قضية المعرفة في سياق خطاب معرفي قابل لأن يكون موضوعا للتأويل)33

بما أن تجربة المكان تجربة وجودية فإن معالمه تخضع لتصور الذات في انطباعاتها الأولى لأهميته في النفس ، ومدى تعلق الذات به إذا كان يحتفظ بذكريات تخص الشاعر لأيام قضاها في ربوعه ، فتصبح أبعاد المكان ومعالمه خاضعة لدرجة القربى من أهواء الشاعر وإحساساته في لحظة التقاء الذات بها ، وفي هذه اللحظة من المواجهة يتذكر الشماخ بن ضرار لقاء آخر جمعه بابنة الضمري لكن معالم المكان لم تعد هي ذاتها .

لعمري لا أنسى وإن طال عهدنا

لقاء ابنة الضمري في البلد الخالي

تذكرتها وهناً وقد حال دونها

قرى أذربيجان المسالح والجالي 34

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

إن عملية التذكر – في كثير من الأحيان – تخضع لمعطيات الحدس الحسي عندما تتعلق بتغيرات في ماهية المكان بين ما أصبح عليه الآن وما كان عليه في السابق ، فالماهية الخاصة بالمكان الجديد تنتقل عن طريق الوعي المدرك لها إلى الذاكرة لتعيد تشكيل هيأته ، وإذا عادت الصورة بجميع تفاصيلها إلى وعي الذات عادت مع الصورة تفاصيل أخرى متعلقة بالحياة في ذلك المكان ، وهنا عاد إلى وعي الشاعر – مع تفاصيل صورة المكان – ذلك اللقاء الذي طال به العهد مع ابنة الضمري ، حتى وإن كان وصف بكونه بلدا خاليا ، فخلو المكان من السكان لا يعني خلوه من الأشياء التي تعيد إلى وعي الشاعر حالة التذكر .

إن سعة المكان تنشأ هنا بين مكان التذكر ومكان المرأة الراحلة التي كانت – في ذات يوم – تقطن ذات المكان الذي هاج بالشاعر شريط الذكريات ، فلم تعد ابنة الضمري تسكن البلد الخالي ، بل إن ما يفصل بينهما اليوم قرى أذربيجان (المسالح والجالي) ، وهي مساحة لا تشكل بونا شاسعا بوصفها الجغرافي فحسب ، بل بوصفها الشعوري المرتبط بذات الشاعر بمقدار ارتباط بعد المكان بسايكلوجية الذات .

إن تجربة الشاعر بمشروعيتها الفنية تخضع قسرا لارتباط الوجود بسايكلوجية الذات ، وهكذا تفرض السايكولوجيا نفسها مسبقا بمهمة الكشف عن ذلك المعنى المرتبط بالوجود في المكان ، بما أن معناه يستمد أصلا من عالم العيش 35 ، ويمكن أن نلحظ في حديث هوسرل عن المكان من خلال مصاحبة الشعور لموضوعاته في التجربة المعيشة من غير إعداد عقلي لها لأنها تجربة حية معاصرة لوجود موضوعات الشعور ، فلا يكون الحديث عن المكان مرتبطا بالامتداد المكاني بل بالانتشار المكاني ، لأن هوسرل أدخل الزمان في إدراك الذات للمكان ، مما قرب بينه وبين الإدراك الحي للجسم وباعد بينه وبين الإدراك المادي الصرف للمكان وللشيء المادي الذي يحتله ويصبح به الجسم مجرد قطعة في المكان ، إلا أن الإدراك ليس إدراكا لأجزاء المكان بل هو إدراك لامتداد متحرك في المكان ارتبط به أثناء الحركة فيه بتجربة حية ، وتفاعل معها أثناء حركته في مكان آخر بتجربة شعورية أو عاطفية أخرى 36 .

إن النظر إلى الوجود في إطار عاطفي – أنثروبولوجي يمكن وصفه بالمقولة الإنسانية التي أقرتها الفينومينولوجيا بأن الأشياء وظواهر العالم الخارجي لا توجد بصفتها أشياء أذا أصبحت غير منعزلة عن الذاتية الخاصة أو الأنا الفردية ، بل وأكثر من ذلك فإن إحاطة الذات بالوجود هو امتلاك خاص له ، لأن هذا الوجود لا يمكن أن يكون شيئا خارجيا بالنسبة للذات ، فنظرة الشاعر للمكان – إذن – تمثل الواقعة التي يندرج عن طريقها إلى العالم ، ويحقق من خلالها واقعه الخاص ، ومن خلالها كذلك يعطي الأشياء والظواهر معناها ودلالتها ، ومن خلال الوجود يتم رفع التناقض بين الذات وموضوعه37.

ولعل الشاعر – في لحظة كشفه عن عواطفه تجاه المحبوب – ينشغل بتفصيل أجواء المكان ومعالمه عن عاطفته التي حضر من أجل الإفصاح عنها ، فيصبح المكان الواسع الذي يفصله عن المحبوب له الأهمية والصدارة في وعي الشاعر ، وتنضوي مشاعر العشق مؤقتا خلف هذه الأشياء التي يعج بها المكان الواسع وتفصله عن غرضه المنشود في الاتصال واللقاء بمن يحب ، هكذا يكشف لنا عمرو بن أحمر الباهلي عن مكان واسع المدى يفصله عن ليلى .

كم دون ليلى من تنوفيـة ... لمّاعة تنذرفيهـا النذر

يهل بالفرقد ركبانهـــا ... كما يهل الراكب المعتمر

يظل بالعضرس حرباؤهـا ... كأنه قرم مسام أشــر

كأنما المكاء في بيدهـــا ... سرادق قد أوقدته الأصر

لا تفزع الأرنب أهوالهـا ... ولا ترى الضب بها ينجحر

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

ترعى القطاة الخمس تنورها
ثم تعر الماء فيمن يعــر
حتى إذا ما حبيت ريّــه
وانكدرت يهوي بها ما تمر
صهصلق الصوت إذا ما غدت
لم يطعم الصقربها المنكدر
أيقظه أزملها فاستــوى
مصعصع الرأس شخيت قفر 38

إن ارتباط سعة المكان بالذات قد ينطلق أحيانا من ارتباط الذات بالشعور تجاه الآخر حبا أو كرها ، فمعالم المكان دائما ما تزيد بعدا واتساعا كلما كان الآخر المحبوب بعيدا ، حتى يصبح هذا الآخر بالنسبة للذات مسألة وجود ، أو الوجود من أجل الآخر ، ولأن الآخر هنا ينتمي إلى مكان أصبح هذا المكان منتميا للذات المتعلقة بالآخر ، فهي تشعر بمقدار الابتعاد عن مكان المحبوب إذا لم يجتمعا في نفس المكان ، فالذات لا تشعر بوجودها إلا بمدى قربها من ذلك المكان الذي يشكل موطنا للحبيب ، ولهذا فإن المكان لم يعد يشكل – بتكوينه الجغرافي – بعدا في العالم الخارجي ، بل أن أبعاده أصبحت تتشكل بما يتحقق من الاتصال الروحي للذات الشاعرة .

إن عمرو بن أحمر يرى أن صحارى كثيرة تفصله عن ليلى ، ولأن كل واحدة من هذه الصحارى بعيدة المدى مضى إلى تفصيل ما تنطوي عليه هذه الصحارى من الأشياء التي ترتبط بوعيه بمقدار ارتباط سعة المكان بالبعد عن ليلى ، فكل شيء منها يعبر عن بعد المسافة وغربة الطريق ، ذلك أن الشاعر يخلق عالما من الوجود قائما بذاته ، وهو من يملك الحقيقة ، حقيقة الوجود والمكان ، فنحن لا نؤمن بحقيقة شيء يقينا كاملا إلا إذا كنا نحن الذين ابتكرناه وأبدعناه ، لأننا نشعر آنذاك بأنه جزء من كياننا ، صادر عنا ، فيكون له من الحقيقة بقدر ما لكياننا ، وهكذا فإن الشعور لدى الشاعر بحقيقة المكان أقوى ، لأنها بمرتبة الوجود الذاتي الذي يشكل عالمه الخاص 39 .

إن كل ما يتصف به المكان من مظاهر الاتساع إنما هو انعكاس لما يجتاح الذات من غربة المشاعر التي أيقظها فعل التذكر ، فهذه المشاعر تستمد عنفوانها من الذكرى المرتبطة بالمكان المعادي تحديدا لأنه مصدر الوجع ، ومصدر الشعر الذي يعبر عن الوجع الذي علينا أن نتمثله من خلال ملامسة سبب معاناة الشاعر وتعاسته ، ولفهم تجليات المكان المعادي الموحش وكيف تم التعبير عنها بوساطة الشعر ، وكيف تم التعبير عن البشاعة بالجمال وعن المآسي بالحس المرهف ، فهذه هي جمالية المكان المحتفى به في هذا الانجاز الشعري ، فهو العبور من المكان بما هو انجذاب إلى الحنين وإلى الأصول إلى حيث جماليته ، إنها عودة إلى المكان من خلال أسئلته الوجودية الكبرى التي يثيرها الشعراء 40 .

ومهمة التأويل هنا مهمة أساسية لفهم الوجود والكشف عن المحجوب حتى يتجلى ويظهر ، ومن هذا التصور لا يعدو الفهم أن يكون سمة أساسية لاكتمال مشروع الكائن الإنساني لتحقيق وجوده والانفتاح على العالم ، فالفهم - من المنظور الأنطولوجي الذي يتبناه هيدغر – سابق على كل فعل من أفعال الوجود أو به ينوجد الكائن ، فوجود الكائن الإنساني واكتمال حقيقة وجوده مرتبطة بالفهم ، وليس بفهمه لذاته فحسب بل كذلك في انفتاحه على العالم 41 ، هكذا اعتمد المنهج الفينومينولوجي على الخبرات الشعورية الحية التي تحمل الطابع الإنساني التي هي معطيات واقعية تظهر الحقيقة بوصفها تيارا من الخبرات ، والخبرات بوصفها أفعالا خاصة بالوعي .

المكان المتحول :

تنشأ تحولات المكان في دائرة الوعي القصدية للذات الشاعرة التي ترتبط بالمكان في تجربتها الشعورية ، وتتمثل كينونة التحول إما بفعل وقع الزمن وأثره على المكان في إحداث التغييرات على هيأته ورسومه ومعالمه ، وهنا يقع تأثير هذا التحول على الذات التي ترغب بديمومة البقاء لأصل المكان والاستقرار فيه ، وإما أن

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

يكون التحول ذهنيا مرتبطا بالذات في تأملاتها وتصوراتها للمكان الخاص بالحدث في تجربتها الشعرية ، فيكون التحول متخيلا أو عجائبيا ولا يكون لقوى الطبيعة فيه أثرا ، لأن الذات تتبنى رسم معالم المكان وفقا لما يعتورها من حالات الرغبة والتطلع إلى مكان تسعى إليه الذات ولا يفترضه الوجود ، وهنا لا تستسلم الذات لصفات المكان الموضوعية التي يضعها البشر أو تشكلها الطبيعة ، بل يعمل الخيال على صنع هيأة المكان وفق مشيئة الذات ورغبتها .

إن التحولات التي تحدثها الطبيعة في هيأة المكان لا سلطة للذات في صياغتها أو إعادة تشكيلها ، لكن توجه عاطفة الشاعر إلى وصف المكان تتخللها تلك المشاعر التي ترتبط بسكان المكان ، وفي نشوة التذكر ينشغل وعي الشاعر بما حدث للمكان من كمية التغيرات التي أحدثتها الطبيعة فيه ، وفي هذه الجزئية من غلبة الطبيعة على الأرض يمكن أن نلحظ مقدار التحولات التي تشمل المكان ، وتصلنا عبر وصف الشاعر لها كهذا المكان الذي يصفه لنا كعب بن زهير وقد بدأ عملية الاستذكار مستعينا بما احتفظت به الذاكرة لصورة المكان الجميلة عندما كانت تحل فيه نوار قبل أن يصبح منزلا خاويا .

أمن نوار عرفت المنزل الخالي
إذ لا نفارق بطن الجو فالبرقا
وقفتُ فيها قليلا ريث أسألها
فانهلّ دمعي على الخدين منسحقا
كادت تبيّن وحيا بعض حاجتنا
لو أن منزل حيّ دارسٍ نطقا
لازالت الريح تزجي كلّ ذي لجبٍ
غيثا إذا ما ونته ديمة دفقا
فأنبت الفغو والريحان وابله
والأيهقان مع المكنان والذرقا
فلم تزل كل غنّاء البغام به
من الظباء تراعي عاقدا حزقا
حلت نوار بأرضٍ لا يبلّغها
إلا صموت السرى لا تسأم العنقا 42

يشكل المكان كمية من الصور المتخيلة التي تعمل في مركزية وعي الشاعر كوجود مكثف ، لأن ما يصفه الشاعر من كثرة الأشياء في هذا المكان لا يبدو أنها تمتلك وجودا حقيقيا على الأرض إلا عن طريق مركزية الذاكرة في وعي الشاعر الذي يعيد تصور الأشياء كما كانت موجودة في ذات المكان قبل أن ترحل عنه نوار ، لأنه بلا شك قد بدأ عملية التخيل منذ أن أدرك أن المنزل الخالي الدارس لقدم عهده بالأنس وتعاقب الأمطار والأرواح عليه هو منزل نوار بلا ريب ، ولو أن المنزل ظل ينعم بتلك الأشياء - الموجودة في النص عبر وعي الشاعر – لما هجرته نوار ورحلت إلى أرض بعيدة لا يمكن بلوغها إلا على ظهر ناقة لا صوت لها ولا تسأم السير السريع ليلا .

إن الشاعر هنا ظل محتفظا بكثير من الأشياء التي تحصّل عليها وعيه في المكان من الإدراك الأول ، وهي ذات الفكرة التي يعلق عليها إدموند هوسرل بقوله : (عندما أبقى في الإدراك أتوفر على وعي كامل بالشيء كما رأيته سلفا في اللمحة الأولى بصفته هذا الشيء ، في الرؤية أقصده دائما مع كل الجوانب التي ليست معطاة لي إطلاقا ، ولو في صورة استحضارات حدسية مسبقة ، وهكذا فإن الإدراك له في كل حال بشكل واع أفق ينتمي لموضوعه) 43 .

مع ما تفرضه الطبيعة من تحولات في فضاء المكان إلا أن الذات تبقى حريصة على أن تبث الروح في قلب المكان المقفر ، وبحرصها وإصرارها تبحث عن أشياء المكان الأولى التي استعصت على الطبيعة وقاومت الفناء ، لتبقى شاهدة على الوجود الأول لحضور الذات مع المكان ومع ساكنيه الذين غادروا المكان لكنهم امتزجوا بالذات ولم يفارقوها ، وفي ظل بقايا الديار يبحث عمرو بن شأس عن الأشياء التي رسخت في المكان الذي هجرته ليلى ، لعل هذه الأشياء تنبئ عن أخبارها .

أتعرف منزلا من آل ليلى
أبى بالثعلبية أن يريما

أربّ بها من الأرواح سافٍ
فغيّرن المنازل والرســـــوما
فردًا فيه طرفكما تبينــا
لليلى منزلا أقوى قديمـــــا
بواقي أبصرٍ ورمـاد دارٍ
وســـفعاً في مناكبها جثوما
وقد تغنى بها ليلى زمانا
عروبـــا توتق المرء الحليما
ليالي تستبيك بجيد رئمٍ
وعيني جؤذريقرو الصريما 44

تبحث الذات في دائرة الوعي القصدية عن تحولات المكان في كينونة الوجود الأول وما يؤول إليه بتعاقب الأزمنة ، فتعمل النظرة الاسترجاعية لزمن الوجود الماضي على تعقب التحولات للوصول إلى زمن الحضور الآني لمعالم المكان بشكله الجديد المغاير ، وإذ تقوم الذات بتحديد موقع المكان في (الثعلبية) التي احتضنت منزلا قديما لآل ليلى ، بقي – على الرغم من حوادث الدهر – ثابت الحضور في قلب المكان ، وقد قامت الرياح فيه بعملها الدؤوب بإحداث التغييرات في المعالم والرسوم ، وإذ يطلب الشاعر من صاحبيه أن يتحققا من المنزل القفر – الذي خلا من أهله – أنه منزل ليلى ، بتتبع أشياء المكان التي عصت على الدهر وآثرت البقاء ، فتلك الحجارة الرخوة لا زالت تحتضن بقايا الرماد الأسود ، ولا زالت جاثمة في مكان الموقد الذي استعملته ليلى - ذات يوم للطبخ - شاهدا على وجودها في الثعلبية ، فيعود صدى التذكر إلى ذلك الزمن بوجود ليلى التي أغنت المكان بحضورها الذي كان يسر ويعجب كل ذي حلم ، وقد سلبت لب الشاعر بجمالها وعينيها اللتين أشبهتا عيني جؤذر يتبع أمه من أرض إلى أرض .

هذا التحول في شكل المكان لم يمنع الذات الشاعرة من استرجاع أصداء الماضي ببعض وقائعه ، ليحضر في دائرة الوعي النشط للذاكرة التي تعمل على إدراك الوجود وتمثله في مخيلة الذات وصولا إلى لحظة الحدث التي أوجدت فعل الوعي في الواقع المرتبط بحضور المكان بعد تحوله ، ولأن فعل الوعي متجدد وغير محدد بزمن فإنه يفتح نافذة لحضور أحداث احتفظت بها الذاكرة عن المكان في زمن ازدهاره بالأنس والحياة الجميلة ، ويقوم الوعي بربطها بهيأة المكان بشكله المقفر بعد أن فقد صورة الحياة المزدهرة تلك ، ويعمل هذا الانفتاح التأملي على الماضي إلى استدعاء معاني جديدة تضاف إلى مقاصد الشاعر في لحظة الإدراك ، فتكون صورة المكان في وعيه الخاص مزيجا من صورة الأمس المفعم بالحياة وصورة الآن الموحشة بتغيراتها المهولة التي طرأت عليها ، (هكذا ينبجس السؤال الأول من خرائب الذاكرة كما الماء من بين الصخور صافيا مصقولا شفافا ناعم الملمس ، يقودنا لاقتراف غواية الحنين عبر الذكريات ، وما الذكريات في النهاية غير ما يجعل روحنا مأوى ، تماما كالبيوت التي تعيدنا إليها باعتبارها ملجأ لذكرياتنا فقط ، بل وملجأ لما نسيناه أيضا ، ولذلك فهي في داخلنا بنفس القدر الذي نكون فيه بداخلها ، تحتوينا بنفس القدر الذي نحتويها ، وتعبر عنا بنفس القدر الذي نعبر به عنها ، وتقودنا إلى دواخلنا بذاتها ... إنها تحمل في داخلها نوعا من جماليات الأشياء المخفية ... حيث يجب علينا أن نصف ما نتخيله قبل أن نتحدث عما نعرفه ، ما نحلم به قبل أن نتحدث عما نحن على يقين منه ، فما علينا إلا أن نتمعن في الفراغ جيدا وهو سيتكفل بإنجاز الباقي الامتلاء) 45.

وتحتاج الذات في بعض لحظات هدوء النفس وصفائها ، بعيدا عن عبق الماضي وذكرياته ، أن تتأمل فيما تحدثه قوى الطبيعة من آثار هائلة تعمل على تغيير وجه الأرض وأشكال الأمكنة ، وهذه القوى هي بنية أنطولوجية تستشعرها الذات وتخرج منها بمزيج من حالات التأثر والانفعال التي تجتاح النفس وتدعوها للتأمل بشيء من الحكمة في سحر الطبيعة المؤثر في شكل الوجود ، في هذا الجو المفعم بالمشاعر والملبد بالغيوم يتأمل خفاف بن ندبة ويدعو صاحبه إلى التأمل فيما تحدثه البروق والرعود من آثار على قراهم .

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

فدع ذا ولكن هل ترى ضوء بارقٍ
يضيء حبيّا في ذراَتي متألقِ
علا الأتم منه وابلٌ بعد وابـلٍ
فقد رهقت قيعانه كلّ مرهقِ
وجرّ بأكناف البحار إلى الصلا
ربابا له مثل النعام المعلّقِ
إذا قلت تزهاه الرياح دنا لـه
رباب له مثل النعام الموسّقِ
فجاد شرورى فالستار فأصبحت
تعارله والواديان بمـودقِ
كأنّ الضباب بالصحاري غدية
رجالٌ دعاها مستضيفٌ لموسقِ
له حدبٌ يستخرج الذئب كارها
يهزّ الغثاء عند غانٍ بمطلـقِ
يشقّ الحداب بالصحاري وينتحي
فراخ العقاب بالحقاء المحلـقِ 46

منذ القدم اعتقد البشر بوجود قوى غريبة تعمل عملها بتغيير شكل الأماكن والطبيعة ، ومن هذه القوى هنالك اثنتان يكون لهما الدور الأكبر في إعادة رسم الأرض وهما قوة الرياح وقوة المطر ، حتى اعتقد بعض البشر أن لكل منهما إلها يمتلك قوى خارقة موكل بعملهما ، وهي مسألة ترتبط دائما بأثرها الميتافيزيقي على النفس البشرية ، ولم يكن شعراء العرب – منذ أقدم عصوره – بمنأى عن مثل هذا الاعتقاد ، بل آمنوا بوجود قوى غيبية تهيمن على وعي الشاعر وتصاحبه في حالات الإلهام إذا أراد أن تستجيب له ملكة الشعر ، وكان الناس يعتقدون أن لكل شاعر شيطان يقتحم عليه روحه وجسده ويجري على لسانه ما يرغب فيه من نوادر المعاني وفرائدها 47 ، وفي هذا النص لخفاف بن ندبة كأن المعاني تفجرت في قريحته بتفجر قوى الطبيعة التي اجتاحت المكان ، فهذه البروق قد أضاءت السحاب المتراكم ، واعتلى وابلها جبل الأتم وأغرق قيعانه ، وقوى الرياح تدفع السحب إلى أماكن أخرى قريبة كالشرور والستار وجبل تعار والواديين ، وكلها أماكن قد أغرقت وعلاها الموج ، كما أن الموج جعل الذئب يخرج مكرها من وجاره ، وأفراخ العقاب تلجأ هربا إلى الأماكن العالية .

إن البنية الأنطولوجية لهذا المكان لا توحي بوجود حالة من الاستقرار الكوني التي تسمح للروح أن تعيش في مكان ثابت يمكن أن تستقر فيه الذات بإحساساتها باتجاه معين ، ولطالما بحث المرء – في مثل هذا العصر – عن المطر آملا بالاستقرار في موطن ثابت ، لأنه وسيلة إلى الخير والنماء إذا روت الأرض منه عطشها ، لكن المطر كثيرا ما كان يخذله ، وظل دائم الترحل والتنقل طالبا مساقط المياه في كل أرض يلتجئ إليها ، وظل يعيش حالة الاغتراب مرة بعد مرة ، وهو اغتراب يشي بشيء من الانفصال بين الإنسان والمكان الذي يهجره مخلفا فيه عهدا لا ينسى من الوجود الإنساني الممتلئ بعبق الذكريات ، وكأنه يترك شيئا من ذاته في كل بقعة من الأرض ينزلها .

وقد لا يقع التحول في المكان في صورته الحقيقية على الأرض ، وإنما يكون المكان واقعا في خيال الشاعر ، فيرسم أبعاده وملامحه بخياله المحض بعيدا عن الوجود الفعلي على أرض الواقع ، كأن الذات تفترض وجودا مستقبليا تعلم يقينا بإمكان تحققه ، فتشكل صورته وفق منظورها الخاص وأيدلوجيتها الراسخة ، من هذا المنطلق يمضي أمية بن أبي الصلت إلى وصف المكان الذي سيجمع الله به الخلق لمحاسبتهم على أعمالهم .

مليكٌ على عرش السماء مهيمنٌ
لعزته تعنو الوجوه وتسجـدُ
عليه حجاب النور والنور حوله
وأنهار نورٍ حوله تتوقـدُ
ولا بشرٌ يسمو إليه بطرفـه
ودون حجاب النور خلقٌ مؤيدُ
ملائكةٌ أقدامهم تحت أرضـه
وأعناقهم فوق السماوات صعّدُ
فمن حامل إحدى قوائم عرشه
بأيدٍ ولولا ذاك كلّوا وبلـدوا

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

قيامٌ على الأقدام عانين تحته

فرائصهم من شدة الخوف ترعدُ

فهم عند ربّ ينظرون لأمره

يصيخون بالأسماع للوحي ركّدُ 48

المكان المتخيل الذي ليس له وجود على أرض الواقع هو جزء من المكان المتحول في وعي الشاعر ، لأن الشاعر يرسم صورة للمكان المتخيل عن طريق وعيه الخاص مستعينا بأشكال الأمكنة على سطح الأرض ، وربما أخذ بعض معالم هذا التشكيل من ذاته الشخصية وما يعتورها من حالات التأمل والتطلع والرغبة إلى بلوغ هذا المكان بنفس مطمئنة ، وهو يحاول إقامة نوع من التوازن بين ما يفترضه الوجود في الواقع وبين ما تتطلع إليه النفس ، والشعر لا يرسم لنا صورة الواقع ومعطياته من تجارب الحياة ومعاناتها بمقدار ما يرسمه من رغبات الحلم في التخلص من ركام العذاب النفسي الذي يفرضه الواقع المر .

وإذا كان الشاعر قد استمد تجربته الخاصة من الخيال فحسب فذلك لا يعني خروجه كليا من دائرة الوجود الحسي ، فالوجود – بحسب هيدغر – ينقسم على نوعين وجود خارجي ووجود ذهني ، الأول هو الوجود المادي الذي يظهر فيه الشيء محسوسا ، أما الثاني فيكون الشيء فيه ذهنيا ، وهو الوجود العقلي أو الوجود المنطقي ، وهكذا يكون الشيء حاصلا في التجربة إما حصولا تصوريا فيكون موضوع الاستدلال عقلي ، وإما حصولا فعليا فيكون موضوع الاستدلال حسي أو وجداني 49 .

عندما يفترض الشاعر هذا الوجود المتخيل لمكان يصعب إدراكه بأي حدس معين فإن الشاعر لا يحتاج إلى وضع براهين على مصداقية رؤيته الحسية لمكان أو زمن هذه الأحداث المروية ، ولكن سايكولوجية البصيرة في وعيه الخاص قادرة على وضع أسس وقواعد المكان من خلال دينامية الانفجار في الصورة التي يمنحها الخيال هيأة كاملة وإن كانت على شكل حلم ، وعلى الرغم من أن الشعور هو الذي اقتضى استدعاء هذا النوع من العرض العجائبي لصفة المكان وأحداثه إلا أن هذا الشعور الخاص يبقى مرهونا بثقافة الشاعر وبيئته ونزعته الفكرية ، وإن كنا في عالمنا الخاص نرهب هذا النوع من التطلع إلى مكان يسمو على النفس البشرية ويتسم بالقدسية ، مكتفين بما أتيح لنا من ميسور الانبساط على امتداد المكان في عالمنا الصغير .

تكتنف الذات في بعض الأحيان الرغبة في الخروج من واقعها المؤلم لترسم لها واقعا أشبه بالحلم ، في لحظة البحث عن قرين يواسيها ويشاركها همومها وأحزانها ، ومن خلال عملية تصوير المكان تنطلق الذات من الواقع في تشكيل ملامح صورة المكان ، لكن هذه الملامح تتغير فجأة لتصبح عالما من الخيال الذي لا يمت إلى الواقع بصلة ، ويصبح المكان جزءا من خيال الشاعر بما يحتويه من شخوص وأحداث ، في هذه اللحظة من التفرد يستعين النجاشي الحارثي بما تحصل عليه من خبرة التجربة ليصف لنا هذا المكان الذي اجتمع فيه مع قرينه الذئب .

وماءٍ كلون الغسل قد عاد آجناً

قليلٌ به الأصوات في بلدٍ محـلِ

وجدتُ عليه الذئب يعوي كأنّه

خليعٌ خلا من كلّ مالٍ ومن أهـلِ

فقلتُ له يا ذئب هل لك في فتى

يواسي بلا منّ عليك ولا بخـلِ

فقال هداك الله للرشد إنمـا

دعوتَ لما لم يأته سبعٌ مثلـي

فلستُ بآتيه ولا أستطيعـه

ولاكِ اسقني إن كان ماؤك ذا فضلِ

فقلت له عليك الحوض إنّي تركته

وفي صفوه فضل القلوص من السجلِ

فطرّب يستعوي ذئابا كثيـرة

وعدتُ وكلٍ من هواه على شغـلِ50

قد يصعب تحديد معالم المكان من منظور أنطولوجي إذا أصبح مكانا عجائبيا ، وهو ما يفتح باب التأويل مشرعا ، لأن الانشغال لم يعد منصبا على قراءة أبعاد المكان وضبطها ، بل ما

يحمله ذات المكان من المكونات التي لم تعد تمثل وجودا واقعيا ، فحقيقة الأشياء تتوارى في النص وراء منظار الخيال الذي جعل الساكن متحركا والصامت متكلما ، وإن مشهد الذئب في نص الشاعر لا يعدو أن يكون جزءا من حياته اليومية في واقعه المعيش ، ولطالما وجدنا الشعراء يجعلون للذئب حيزا في صدور قصائدهم ويبثون إليه آلامهم وآمالهم وشكواهم ، ولكن قلما وجدنا الذئب يفصح عما في خاطره ويبث شكواه ، ولكنه – على أية حال – وعي الشاعر الذي لا يرى الأشياء بعينيه أو يدركها بحواسه وإنما يراها بعين العقل ويستشعرها بحدس القلب .

إن وصف الأحداث في النص قد لا ينتمي في حقيقته إلى عالم الطبيعة ، ولربما كان أشبه بالحلم ، ولكن لابد أن الشاعر كان يبحث في ذلك المكان في (البلد المحل ، قليل الأصوات ، ذي الماء الآجن) عن ذاته الضائعة الحائرة المتوحدة بلا قرين أو مواس ، وكأنما وجد ذاته في الذئب لأنه كان بلا مال وبلا أهل ، وكأنه أراد بمواساة الذئب مواساة نفسه ، وكأنه استشعر بعطش الذئب عطش ذاته ، فهو خليع وخلي من الأصحاب ، ولما وجد في نفسه هذه الوحدة جعل الذئب يستدعي أصحابه (ذئابا كثيرة) وما هي إلا أمنية أراد أن يتمناها لنفسه فحققها للذئب .

ويرى بعض الباحثين أن الثقافات الإنسانية المختلفة قد وظفت الحيوان – أدبيا – للتعبير عن معتقداتها وأوهامها وطموحاتها وآمالها وآلامها 51 ، ولذلك قد يلجأ الشاعر إلى إضافة صورة الحيوان الناطق والمفكر والمستوعب للحدث بهذه الطريقة الغرائبية لأنه بحاجة إلى مكان خاص ، مكان يتمناه ويعيش فيه تجربته النفسية ، مكان يحلم به ويتمنى أن يمنحه بريقا من أمل الغد ، أو مكان يهرب فيه من معاناة مرارة اللحظة ومن واقع اليوم الأليم .

إن وصف المكان لا يكون موحياً بطبيعة حال المكان إذا استسلم الشاعر فيه لصفات المكان الموضوعية ، لأن هذه الصفات لن تعدو أن تكون مجرد مقاييس تسهل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية لمعرفة أوصاف الأمكنة وأشكالها وأبعادها ، أما المكان الذي يهم الشاعر فهو المكان النفسي الذي يتخيله ويعيش فيه تجربته الخاصة ، وعندئذ يكون تشكيل المكان مجافيا لتلك المقاييس الموضوعة للمكان 52 ، فالمكان المتخيل هو الذي يعتني الشاعر بوضع أسسه ومعالمه من خلال وعيه الخاص بطبيعة المكان وأثره في النفس ، أما المكان الحقيقي فلن يعطينا ذلك التصور الصحيح لما يدور في فكر الشاعر وما يعتمل في نفسه من أحاسيس ومشاعر .

كما أن غادامير يريد أن يطبق التصور الهيدغري الذي يركز على فن الاستماع والإنصات إلى الأشياء لا فرض القوانين عليها ، ففرض القوانين هو كالكلام الذي يجر الأشياء إليه لا العكس ، إذن ليس التأويل فن الكلام إنما هو فن الإنصات الذي هو إنصات للأشياء ذاتها ، وهنا يظهر أثر التعليق الفينومينولوجي الذي يتخلى عن كل تحديد قبلي للشيء 53 .

إن الحقيقة – بحسب تصور غادامير – تبقى سابحة في فضاء لا محدود ، ولا يمكن لأي منهج أن يصطادها ثم يحتويها ، لكن هذا لن يجعل اليأس يسيطر على قلوبنا بل يجعلنا نبحث في أول العتبات التي تملك الحقيقة الجزئية ألا وهي الفهم ، فالفهم ليس مسألة اكتساب معرفة حقيقية بشأن واقع معطى سلفا ، بل على عكس ذلك هو – بحد ذاته – حدوث متحقق في شكل من أشكال الفعل والخلق ، وهذا الفهم ميزة حقيقية لصيقة بالإنسان يمارسها أينما حل ، بل هو جوهر وجوده ، وهكذا يكون الفهم سلطة شأنه شأن الحقيقة تماما ، لأنه نتاج تعامل الذات مع موضوعها مما يجعلها تنهمك في حوار معه ، بعيد عن إرادة الهيمنة وتمويه الحقيقة 54 .

وقد لا تجري تحولات المكان بتدخل سلطة الطبيعة وممارسة قواها على الأرض فحسب ، إذ قد يكون للإنسان – أحيانا – دور في إحداث بعض تلك التحولات ، ومن أهم الأمور التي يمكن أن تعمل على تغيير شكل المكان بتدخل البشر الحرب التي يراها كعب بن مالك تصنع فضاء من الأحداث المتوالية في ساحة المعركة ، ثم لا تنجلي إلا عن جثث القتلى وآثار الدمار التي

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

أصبحت تمنح المكان صورة أخرى لم يكن لها وجود في لحظات السلم والهدوء .

ألا هل أتى غسان عنّا ودونهم
من الأرض خرقٌ سيره متنعنعُ
صحارٍ وأعلامٍ كأن قتامها
من البعد نقعٌ هامدٌ متقطعُ
تظلّ به البزل العراميس رزّحاً
ويخلو به غيث السنين فيمرعُ
به جيف الحسرى يلوح صليبها
كما لاح كتّان التجار الموضعُ
به العين والآرام يمشين خلفة
وبيض نعامٍ قيضه يتقلعُ 55

قد تكون معالم المكان واضحة للعيان لا يحتاج فيها المتبصر للتمعن ، لكن هذه المعالم الواضحة يصيبها القتام بسبب اتساع المكان أولا وتحوله إلى ساحة حرب وصراع وتوعد وتهديد ثانيا ، فتصبح كينونة الأشياء الواضحة متوارية إلا بمقدار إدراكها من قبل الوعي المترقب لمعالم المكان الفاصل بين النحن والهم ، فمهمة الشاعر تكمن في كشف ما يخفى من أثر الصراع بينه وبين أعدائه من آل غسان ، مشيرا إلى جثث قتلاهم التي ظلت تملأ فضاء المكان ، لذلك أصبح هذا المكان في وعي الشاعر وإدراكه الحسي صورة لتجسد حركة الفعل في امتداده من حاضر اللحظة المعيشة إلى التأمل في الماضي عند لحظة المواجهة بينه وبين أعدائه ، فلم يتبق من تلك الصورة سوى ذلك الشعور المترسب بمعالم التحول والخراب الذي عج به المكان بعد وقوع الحادثة ، ومع مضي الزمن وانجرار الأحداث تغيرت طبيعة المكان إلا أن الواقعة ظلت تثبت حضورها في وعي الشاعر ، فانطلق من ذات المكان الذي حدثت فيه ليرد على هجاء أعدائه بهجاء أمر منه .

وعلى الرغم مما حل بالمكان من تحولات الصورة إلا أن المكان يبقى أحيانا محتفظا بشيء من أيام الخصب والنماء إذا ما خلا به غيث السنين ، فتعود العين والآرام تمشي متتابعة ، وبيض النعام المتقشر يلوح في أفق المكان ، وهذه الصورة الواضحة لمعالم المكان هي من خزين الذاكرة استدعاها الشاعر بوعي اللحظة ليعبر عن تحول الكينونة في الأشياء بين ما كان وما هو كائن وما يمكن أن يكون ، ومع أن كل شيء يعتمد على مزاج الشاعر في رسم صورة هذا التحول إلا أن تتبع هذه التحولات لن يتم من خلال ما طرحه الشاعر في أبياته فحسب وإنما من خلال ما لم يعرضه أيضا ، لأن ما أغفله الشاعر أو تغافل عنه هو كل ما ترك للمتلقي أن يلتقط معناه بفكره الخاص ، فلن تكتمل صورة ملامح المكان الموصوف هنا إلا باستحضار المتلقي بقية الأشياء التي ترك الشاعر له مهمة استحضارها ، وذلك لن يتأتى له إلا عن طريق التأويل ، (بما أن التأويل هو دائما زحزحة للعلاقات وتغيير للمواقع ، وإعادة لترتيب عناصر العلامات ، فإن ما يضمن سلامة التأويل ودوامه واستمراره في إنتاج الدلالات المتنوعة هو وجود هذا الحد الأدنى المعنوي المرتبط بتجربة حياتية لا تتجاوز حدود الاستجابة للبعد النفعي فيها) 56

من خلال التأويل إذن يمكن الوصول إلى الفهم الصحيح لأفق المعنى في تحولات الصورة المرتبطة بأشكال المكان ، إلا أن لغة التأويل ذاتها هي لغة الفهم وهي المفتاح السحري لفهم النص ومن ثم إعادة قراءته وتأويله ، لكونهما اللغة والتأويل يمثلان بعدا إجرائيا واحدا تجاه النص ، لذا يبرر غادامير – في إحدى ملاحظاته – سوء التعبير عن فكرة ما بسوء فهمها أصلا 57 ، كما أن القراءة التي يتجدد بها النص هي قراءة تحويلية بمعنى أنها لا ترمي إلى تملك النص معرفيا بمقدار ما تقوم على التعاطي مع واقع خطابي يتم تحويله إلى نص جديد ، فمثلما يحول النص الحدث إلى لغة مفهومية كذلك يحول القارئ معرفته بالنص إلى علاقة مفهومية في ضوء خبراته الوجودية ، وهذا - كما يرى الأستاذ علي حرب – شأن الفاعلية الفكرية التي تكون ذات مفعول تحويلي توليدي يتم من خلال تكوين متبادل للذات والموضوع على نحو تتغير معه الذات والموضوع وتتغير العلاقة بينهما ، فليس الأمر كما يتصور ديكارت مجرد تمثل للموضوع أو تملك للواقع بل أصبح علاقة منتجة لها مفعولها التحويلي ، 58

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

وأبرز أدوات القارئ التي يمتلكها لإجراء هذا الفعل التحويلي تتمثل في امتلاك المقدرة الهرمينوطيقية على قراءة النصوص وإعادة إنتاجها .

ومن خلال الحركة في المكان المتحول أو الغرائبي أو العجائبي قد يستمر دوران المرء في متاهة لا يعرف متى سيخرج منها ، وقد يكون المكان واقعيا ثم يصبح فجأة أو تدريجيا غير واقعي ، فتصبح الذات في حالة من التردد بين الواقع واللاواقع ، وقد تفقد الذات شعورها بحدود الزمان والمكان فيحدث اختلال الشعور بالواقع واختلال الشعور بالذات ، وفي المكان الغرائبي تحديدا يتحرك الإنسان في البداية عبر تلك المحاور الخاصة بالخبرة الإنسانية حيث المكان والزمان بنية تنظيمية ثابتة مفروضة على الوعي ، وحيث الأماكن ذات أبعاد ومسافات وزوايا ومعالم محددة كالبعيد والقريب ، والمعروف والمجهول ، والمنخفض والمرتفع ، والواسع والضيق من الأمكنة ، لكن هذه المعالم المميزة للمكان والتي تقوم على تصورات وحدود ومفاهيم عقلية شبه محددة ، أحيانا ما تضطرب وتتداخل حدودها ، ويجد المرء أنه بدلا من أن يتجه على نحو متتابع مستقيم يجد نفسه عائدا إلى المكان نفسه الذي بدأ منه سيره وحركته ، ومع هذه العودة لا يصبح ذلك المكان الأول الذي خرج منه هو المكان السابق أو القديم أو المألوف ، بل يصبح مكانا آخر غريبا وغير مألوف ، وهنا تحدث حالات اختلال الشعور بالواقع أو الذات أو بهما معا 59.

ومن الجدير بالذكر أن لا ننسى فهم باشلار لفينومينولوجيا الخيال أو الصورة المتخيلة لبيان تلك الدلالة الأنطولوجية لعلاقة الوعي بالصورة الشعرية ، فالصورة المتخيلة للمكان المتحول هي أسلوب الوعي التي بها يقصد الشاعر موضوعه ، فهي أسلوب خاص للاقتراب من عالم الصورة الشعرية والانفتاح عليه في انبثاقه وتدفقه ، ففي عالم الصورة المتخيلة ومن خلاله نرتد إلى عتبة إنسانيتنا الخاصة ، وذلك حينما نحيا من جديد في ذلك الظهور العجيب والجديد للعالم الإنساني الذي يتجلى لنا من خلال الصورة الشعرية المتخيلة ، فمثل هذه الصورة المبدعة تجلبنا إلى الحياة الجديدة لأنها تجدد تفكيرنا ومشاعرنا ، إنها تحفظ لنا ذاكرتنا ووعينا بالتنوع والاختلاف والتغير الدائم لعالمنا ، أو تمنحنا القدرة على أن نعي عالمنا على نحو أكثر عمقا ، إن باشلار لا يفهم الصورة المتخيلة بوصفها نتاجا للنشاط الإدراكي ، أو بوصفها نتاجا للاوعي ، إنما يدعونا إلى فهم الصورة الشعرية المتخيلة في جديتها ومباشرتها بالأسلوب الذي تحضر ذاتها لوعينا بمنأى عن مجال السببية الطبيعية وعالم الضرورة المادية ، ولهذا فإن الفينومينولوجي يطالبنا أن نفهم الخيال بمنأى عن الواقع الطبيعي المدرك علميا ، ولذلك هو يفهم الخيال بوصفه الطريق الوحيد الذي نبلغ من خلاله العالم الإنساني المأهول الذي تتجلى وتتجدد فيه حياتنا على الدوام عن طريق الصورة المتخيلة التي تقول لنا شيئا علينا الانصات إليه وفهمه 60 .

الخاتمة

إن تجليات المكان الحقيقية تتمثل في وعي الشاعر في لحظة التقائه بالعالم ، حين يكون وعيه محتشدا بجملة الانفعالات التي تصور لنا حقيقة المكان من خلال شعور الذات الواعية ، لأن المنهجية الفينومينولوجية قد ركزت على حضور الأشياء تجاه الذات ، فينكشف المكان بماهيته في وعي الذات وليس في وجوده الواقعي في العالم ، لأن هذا الوجود يكون معلقا في الإجراء الفينومينولوجي ، فلا وجود بمعزل عن ذات مدركة له .

وتعاني الذات من ضيق المكان عندما يكون ذلك المكان مرتبطا بما يعتمل في نفس الشاعر من مشاعر الغربة والنفور منه لأسباب تتعلق بعاطفة الذات وسايكولوجيتها الخاصة ، فتبرز إلى سطح المكان عبر الذات الناقلة مشاعر عدوانية لأنها لا تجده صالحا للعيش ولا مألوفا للنفس ، فيرتبط ضيق المكان بمشاعر الذات ومقدار تخوفها منه حتى وإن بدا في واقع الأمر متسعا ، لأنه يكون في داخل الذات غير متسع لأحلامها وتطلعاتها ، فتتشكل الرؤية لمعالم المكان ممتزجة بتلك الإحساسات المفعمة بالعزلة والاغتراب والشعور بعدم الانتماء ، والرغبة في الرحيل .

ولا يتوقف تأثير المكان على الذات الشاعرة من خلال ضيقه فحسب ، وإنما لسعة المكان تأثيراتها السلبية والإيجابية من خلال انعكاساتها المباشرة على الذات ، ففي لحظة المواجهة بين الذات والمكان تنشأ حالات مختلفة من مشاعر الخوف والأمان ، والكره والاشتياق ، عبر مكنونات الذات المتأثرة بما يطرأ من حالات النفس المختلفة التي يمكن تبينها من خلال القراءة والتأويل الفينومينولوجي لأنساق المكان المختلفة في تشكلاتها بين الضيق والاتساع التي ينقلها خطاب الذات في لحظة الإدراك الواعية لأثر المكان على ذاتها المتأملة .

كما أن الموقف المتمثل في وعي الذات يمنح المكان صفة الضيق والاتساع الذهني ، فيكون للمكان أثرا فاعلا في إبراز المشاعر المختلفة والقلق النفسي حيال هذا التيه المكاني المرتبط بالذات ، فيصبح كل ما يتصف به المكان من مظاهر الاتساع هو انعكاس لما يجتاحها من فورة المشاعر وانفعالاتها ، ثم تكون هذه المشاعر مصدر الشعر الذي يفصح عن ألم الذات ، ثم نتمثله من خلال ملامسة معاناة الشاعر وغربته التي تثيرها آثار المكان وأشيائه في ذاته المتأملة .

وتنشأ تحولات المكان في دائرة الوعي القصدي للذات الشاعرة عندما يرتبط المكان بتجربتها الشعورية ، ويكون التحول إما بفعل كينونة المكان وأثر الزمن وقوى الطبيعة في تغيير هيأته ومعالمه ، ويقع تأثير التحول هنا على الذات الراغبة بديمومة البقاء لأصل المكان والاستقرار فيه ، وإما أن يكون التحول ذهنيا مرتبطا بالذات في تأملاتها وتصوراتها الخاصة للمكان المرتبط بالحدث ، فيكون المكان متخيلا أو عجائبيا ، ولا يكون لقوى الطبيعة أو وقع الزمن أي أثر في تحولاته ، لأن الذات هي التي تتبنى رسم ملامحه على وفق ما يعتريها من أهواء ورغبات تسعى إلى تحقيقها .

ويمكن الوصول إلى الفهم الصحيح لتجليات المكان وآفاق المعنى المرتبطة بتشكلات المكان المتغيرة في الذات عن طريق التأويل الذي يمثل المفتاح السحري لفهم النص ، لضرورة التأويل القصوى في الكشف عما يخفى من المعاني التي لا يظهرها النص إلا من خلاله ، ويصبح النص تجربة وجودية شاملة لأننا لا نتلقى النص بشعور فارغ ، وإنما نتلقاه من خلال إحساسنا بالعالم من حولنا ، وما يثيره فينا النص من محفزات لهذا الإحساس يجعلنا ندرك الوجود ونفهمه من خلال انفتاحنا على النص وعلى العالم معا .

الهوامش :

1 - ينظر : إشكالية المكان في النص الأدبي (ياسين النصير) : 155 .

2 - ينظر : جماليات المكان (سيزا قاسم وآخرون) : 63 .

3 - ينظر : خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة (محمد صادق حسن) : 143 – 144 .

4 - ينظر : بلاغة المكان ، قراءة في مكانية النص الشعري (فتحية كحلوش) : 65 .

5 - ينظر : شعرية المكان في الأدب الحديث (بطرس الحلاق وآخرون) : 257 .

6 - في ماهية اللغة وفلسفة التأويل (سعيد توفيق) : 7 .

7 - ينظر : المكان والزمان في النص الأدبي ، الجماليات والرؤيا (د. وليد شاكر) : 13 .

8 - ينظر : جماليات المكان (سيزا قاسم وآخرون) : 62 .

9 - ديوان قيس بن الخطيم : 153 .

10 - ينظر : جماليات المكان : 224 .

11 - ينظر : حدس اللحظة : 21 .

12 - شعر النجاشي الحارثي : 63 .

13 - ينظر : الأصول الفلسفية لنظرية المعنى في النقد الأدبي الحديث : 169 .

14 - ديوان الحطيئة : 7 – 11 ، البيت الأول ذكره المحقق برواية السكري في الهامش ولم يورده ابن السكيت في شرحه للديوان .

15 - ينظر : الكينونة والزمان : 214 – 215 .

16 - ينظر : المصدر نفسه : 216 – 218 .

17 - شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم : 93 .

18 - ينظر : التفسير النفسي للأدب (د. عز الدين اسماعيل) : 66 – 67 .

19 - ينظر : جاستون باشلار جماليات الصورة (غادة الإمام) : 153 .

20 - ينظر : النص الشعري ومشكلات التفسير (د. عاطف جودة) : 21 .

21 - ديوان الهذليين : 63 .

22 - جماليات المكان (باشلار) : 43 .

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

23 - ينظر : جماليات المكان (باشلار) : 242 .

24 - ينظر : فلسفة المكان في الشعر العربي : 27 .

25 - ينظر : في ماهية اللغة وفلسفة التأويل : 66 – 67 .

26 - ينظر : مسارات فلسفية (مجموعة مؤلفين) : 172 .

27- ينظر : جاستون باشلار جماليات الصورة : 147 .

28- شعر زيد الخيل الطائي : 73 – 74 .

29 - ينظر : جماليات المكان (باشلار) : 25 ، والمكان الفينومينولوجي مالم يرد عند باشلار (د. عبدالعزيز غوردو) : 38 .

30 - نظرية المعرفة في الفكر العربي المعاصر (د. صباح حمودي المعيني) : 61 .

31 – شعر أبي زبيد الطائي : 73 .

32 - ينظر : جادامر مفهوم الوعي الجمالي في الهرمينوطيقا الفلسفية : 106 .

33 - اللغة والتأويل (عمارة الناصر) : 15 .

34 - ديوان الشماخ بن ضرار : 456 .

35 - ينظر : أزمة العلوم الأوربية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية : 320 .

36 - ينظر : قصة الفلسفة الغربية (د. يحيى هويدي) : 116 .

37 - ينظر : من فلسفة الوجود إلى البنيوية (ت . أ . ساخاروفا) : 22 .

38 - شعر عمرو بن أحمر الباهلي : 65 – 68 .

39 - ينظر : الإنسانية والوجود في الفكر العربي (د. عبد الرحمن بدوي) : 114 .

40 - ينظر : المكان الفينومينولوجي مالم يرد عند باشلار : 40 .

41 - ينظر : التأويل الهيدغري وقراءة لهولدرلين ، الإصغاء إلى صوت الوجود (فرفودة فاطمة) ، مجلة الحوار الثقافي ، عدد خريف وشتاء 2016 : 21 .

42 - ديوان كعب بن زهير : 172 – 173 .

43 - أزمة العلوم الأوربية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية : 249 .

44 - شعر عمرو بن شأس : 51 – 52 .

45 - فينومينولوجيا المكان : 34 .

46 - شرح ديوان خفاف بن ندبة السلمي : 76 – 78 .

47 - ينظر : المكان والجسد والقصيدة (فاطمة الوهيبي) : 119 .

48 - ديوان أمية بن أبي الصلت : 39 – 40 .

49 - ينظر : إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدغر (إبراهيم أحمد) : 24 – 25 .

50 - شعر النجاشي الحارثي : 87 .

51 - ينظر : التلقي والتأويل ، مقاربة نسقية : 173 .

52 - ينظر : بلاغة المكان (فتحية كحلوش) : 244 ، و الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية : 129 .

53 - ينظر : الأصول الفلسفية لنظرية المعنى في النقد الأدبي الحديث : 205 .

54 - ينظر : استراتيجية التأويل عند أدونيس (د. آمال منصور) : 44 .

55 - ديوان كعب بن مالك : 222 .

56 - السيميائيات والتأويل ، مدخل لسيميائيات س . ش . بورس (سعيد بنكراد) : 147 .

57 - ينظر : من النسق إلى الذات (د. عمر مهيبل) : 163 .

58 - ينظر : الماهية والعلاقة ، نحو منطق تحويلي (علي حرب) : 143 .

59 - ينظر : الغرابة المفهوم وتجلياته في الأدب (د. شاكر عبد الحميد) : 216 - 217 .

60 - ينظر : جاستون باشلار جماليات الصورة : 148 – 149 .

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

المصادر والمراجع

1 – **الأصول الفلسفية لنظرية المعنى في النقد الأدبي الحديث (البنيوية وما بعدها)** : عبدالأمير عباس بطي (أطروحة دكتوراه) ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة 2009 .

2 – **الإنسانية والوجود في الفكر العربي** : د. عبدالرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت 1982 .

3 – **أزمة العلوم الأوربية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية ، مدخل إلى الفلسفة الفينومينولوجية** : إدموند هوسرل ، ترجمة : اسماعيل المصدق ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط 1 ، 2008 .

4 – **استراتيجية التأويل عند أدونيس** : د. آمال منصور ، عالم الكتب الحديث ، أربد الأردن ، ط 1 ، 2012 .

5 – **إشكالية المكان في النص الأدبي** : ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ط 1 ، 1986 .

6 – **إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدغر**: إبراهيم أحمد ، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت ، منشورات الاختلاف الجزائر ، ط 1 ، 2006 .

7 – **بلاغة المكان ، قراءة في مكانية النص الشعري** : فتحية كحلوش ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ط 1 ، 2008 .

9 – **التفسير النفسي للأدب** : د. عزالدين اسماعيل ، دار العودة ، بيروت ، ط 2 ، 1981.

10 – **التلقي والتأويل ، مقاربة نسقية** : د. محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط 3 ، 2009 .

11 – **جادامر مفهوم الوعي الجمالي في الهرمينوطيقا الفلسفية** : د. ماهر عبدالمحسن حسن ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، 2009 .

12 – **جاستون باشلار جماليات الصورة** : غادة الإمام ، التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 2010 .

13 – **جماليات المكان** : غاستون باشلار ، ترجمة : غالب هلسا ، دار الجاحظ للنشر ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد 1980 .

14 – **جماليات المكان** : جماعة من الباحثين ، تحرير : سيزا قاسم ، دار قرطبة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 1988 .

15 – **حدس اللحظة** : غاستون باشلار ، تعريب : رضا عزوز وعبدالعزيز زمزم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد .

16 – **خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة** : محمد صادق حسن ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

17 – **ديوان أمية بن أبي الصلت** : قدم له وعلق حواشيه : سيف الدين الكاتب و أحمد عصام الكاتب ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

18 – **ديوان الحطيئة** : رواية وشرح ابن السكيت ، تحقيق : د. نعمان أمين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 1 ، 1987 .

19 – **ديوان الشماخ بن ضرار**: حققه وشرحه : صلاح الدين الهادي ، دار المعارف ، مصر .

20 – **ديوان قيس بن الخطيم** : تحقيق : د. ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، ط 2 ، 1967 .

21 – **ديوان كعب بن زهير**: صنعة السكري ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط 3 ، 2002 .

22 – **ديوان كعب بن مالك** : دراسة وتحقيق : د. سامي مكي العاني ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ط 1 ، 1966 .

23 – **ديوان الهذليين** : مطبوعات دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط 2 ، 1995 .

24 – **السيميائيات والتأويل ، مدخل لسيميائيات س ش بورس** : سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 2005 .

25 – **شرح ديوان خفاف بن ندبة السلمي** : تحقيق : محمد نبيل طريفي ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، ط 1 ، 2002 .

26 – **شعر أبي زبيد الطائي** : جمعه وحققه : د. نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1967 .

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

27 – **الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية** : د. عزالدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1979 .

28 – **شعر عمرو بن أحمر الباهلي** : جمعه وحققه : د. حسين عطوان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

29 - **شعر عمرو بن شأس** : د. يحيى الجبوري ، دار القلم ، الكويت ، ط 2 ، 1983 .

30 – **شعر الزبرقان بن بدروعمرو بن الأهتم** : دراسة وتحقيق : د. سعود محمود عبدالجابر ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، 1984 .

31 – **شعر زيد الخيل الطائي** : جمع ودراسة وتحقيق : أحمد مختار البرزة ، دار المأمون للتراث ، بيروت ، ط 1 ، 1988 .

32 – **شعر النجاشي الحارثي** : قيس بن عمرو ، دراسة وجمع وتحقيق : عبدالعزيز ابراهيم ، سلسلة خزانة التراث ، بغداد ، ط 1 ، 2011 .

33 – **شعرية المكان في الأدب الحديث** : بطرس الحلاق وآخرون ، ترجمة : نهى أبو سديرة ، عماد عبداللطيف ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط 1 ، 2014 .

34 – **الغرابة ، المفهوم وتجلياته في الأدب** : د. شاكر عبدالحميد ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 2012 .

35 – **فلسفة المكان في الشعر العربي ، قراءة موضوعاتية جمالية** : د. حبيب مونسي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 .

36 – **في ماهية اللغة وفلسفة التأويل** : د. سعيد توفيق ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 2002 .

37 – **فينومينولوجيا المكان ما لم يرد عند باشلار** : د. عبدالعزيز غوردو ، مطبوعات الهلال وجدة ، ط 1 .

38 – **قصة الفلسفة الغربية** : د. يحيى هويدي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1993 .

39 – **الكينونة والزمان : مارتن هيدغر ، ترجمة : د. فتحي المسكيني ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط 1 ، 2012 .**

40 – **الماهية والعلاقة ، نحو منطق تأويلي : علي حرب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 1998 .**

41 – **مسارات فلسفية** : مجموعة مؤلفين ، ترجمة : محمد ميلاد ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، ط 1 ، 2004 .

42 – **المكان والجسد والقصيدة ، المواجهة وتجليات الذات** : د. فاطمة الوهيبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 2005 .

43 – **المكان والزمان في النص الأدبي ، الجماليات والرؤيا** : د. وليد شاكر ، تموز للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط 1 ، 2014 .

44 – **من فلسفة الوجود إلى البنيوية** : ت.أ. ساخاروفا ، ترجمة : د. أحمد برقاوي ، دار المسيرة ، لبنان ، ط 1 ، 1984 .

45 – **من النسق إلى الذات** : د. عمر مهيبل ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2007 .

46 – **نظرية المعرفة في الفكر العربي المعاصر** : د. صباح حمودي المعيني ، بيت الحكمة ، بغداد ، ط 1 ، 2009 .

Phenomenological Interpretation in the Place Experiment

The place is the physical dimension of reality, ie, the space in which it takes place, not the events. The human relationship involves many and sometimes complex aspects, making its living a place beyond its conscious ability to penetrate the subconscious. There are attractive places that help stability, and repellent places that do not suggest security or reassured feeling. The inhabitants of the city are far away from them. Man does not need a geophysical space in which he lives, but he aspires to a patch where he is rooted and rooted in his identity. and then take the search for entity and identity form of action on the place, to become a mirror in which the self sees its image. The human soul is not complete within its own boundaries, but it extends itself outside these boundaries to paint everything around it with its own color, as well as simplifying the place of its social and cultural values, and it can be said that there are rejected places and other desirable places. As the human environment expresses or contains, human beings - according to their needs - recover in some places and wither or wither in others. The same places may be attractive or repulsive at the same time; narrow spaces may be rejected because they are difficult to access to them, they are desirable because they represent security and shelter and protection in others.

A place has a distinguished presence in the poets' experience. The Arab poet has long been thinking about the spacious spaces of the place. Its voices and formations are mixed with the poet's awareness and his poetic experience, and as long as he hints at the poetry of the poets a constant movement in the movement between the effects and the houses and stop at the end of them and listened to them, asking about the people who have settled and fill the shadows and then abandoned and have left behind memories of not decay and wounds do not heal, as if questioning the silent vacuum in the empty place, but the remains of the effects is an interrogation of what remained trapped in the consciousness of the poet and hiding in the self- heart, to get rid of time dust as well as the accumulation of successive events, and to restore it to his apparent consciousness, as if this sense of place would not have been realized only by the awareness that accompanied him by the conscious self that gave him by the intent of this sense of his concrete existence.

It is not easy to be aware of each position of the positions of poets in his own experience with the place, and perhaps the difficulty lies in finding the appropriate way to arrive at a correct understanding of the behavior of each poet in dealing with the place of his experience with a large amount of similarities in the positions of poets in the view of the place as a center of their own experiences with the lack of elements that distinguish each other, because what this position leaves of the distinguishing marks of his character is that distinguish his experience and give them the attribute of immortality, because the actions associated with the sense of the existence of the place in the consciousness of the poet is what makes the place manifested as a conscious

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47

phenomenon of its own strength and self-expression as it had in the outside world.

A place has an effect on the senses because it is stable in the depth of the soul, and it has the ability to rid the emotions of each suppressed and mitigated from all severity, which is for the poet the arena of his experiences, as well as a real translation of his feelings and sensations, and sometimes takes a mask of art falls on itself, and these places bear the meanings of self-disguised, which conflicts things in the form of material, so the poet sees under these things a psychological break to look for his hopes and dreams.

However, the most important thing we can resort to to differentiate between the experiences of poets in their sensory connection with the place is the mechanism of literary artistic work which is subject to the requirements of the method of phnominological analysis and obedience to the will of interpretation and that is the language, Poetic language is the things that give poetry, and perhaps some things have a poetic tendency in their origin, and others, including the place is not originally poetic but acquire its poetry through language, Things no matter how different the level of beauty and ugliness remain neutral but out of neutrality if they are associated with the language, the poetry of the place must remain locked in the potential worlds of texts (Heidegger's attempt to understand the language is an attempt at phenomenological Hermeneutics as long as it is an attempt to understand what language is, in terms of experience, both experience in space and in other life experiences. The place is an important focus in highlighting the identity and features of the personality in different social and ideological dimensions, and the recognition of the personality of the place is a perception of self-evident through their perceptions of the worlds both physical and intangible ,near and far, inside and outside, and the people and outsiders, and contact and separation to other familiar ties linking the individual to the place where the settlement, these data are determining the degree of relationship of the relationship between the person and the land to which he belongs and is affected by the amount of intimacy with this land, and the amount of alienation and sense of deprivation and oppression and the bitterness of living in this land overwhelms the signs of alienation and isolation and a sense of belonging and the desire to leave.

DOI:10.18018/URUK/018-11/23-47